الجمـــــهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبيـــــــــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلـــمـــي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية الآداب واللـغـــات

قسم اللغة والأدب العربي

فرع:دراسات لغوية تخصص: لسانيات الخطاب

مذكرة تخرج لنيل شهادة المـــــاستـــــــر موسومة بـ:

في بلاغة الخطاب الإقناعي

مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية

الخطابة في القرن الأول نموذجا

إعداد الطالـبتين:

رخيس سهام

مهدي مباركة

إشـراف الأستـاذ:

د. مرضي مصطفى

أعضـاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقـب	الرتبـــة	الجامعة	الصفة
بلقاسم عيسى	د. محاضر أ	ابن خلدون تيارت	رئيســـا
مرضي مصطفى	د. محاضر أ	ابن خلدون تيارت	مشرفـا
عرابي أحمد	أ.د. محاضر أ	ابن خلدون تيارت	مناقشـا

السنـــــة الجامعيـــــة:

1439هـ/1440هـ/- 2018م/2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـــــــة شكـــــر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تدرك الغايات

نشكره أن أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على إتمام هذا

الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل.

إلى أستاذنا الفاضل لك منا أسمى عبارات الشكر والعرفان إلى

من قدم لنا الدعم لإنجاز هذا البحث، الأستاذ "**مرضي مصطفى**"

الذي كان مشعلا ينير بصيرتنا بنور العلم والمعرفة.

إلى كل من ساعدنا من قريب وبعيد، وحتى ولو بكلمة زادتنا

قدرة على المواصلة والاجتهاد.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر لقسم اللغة العربية وأدابها

بجامعة ابن خلدون -تيارت- على ما قدمته لنا.

إهـــــــــــــــداء

إلى نبض قلبي ونور عيني الوالدين الكريمين أبي الغالي رمز التضحية والحب والعطاء أمي الحبيبة مثال الصبر ونبع الحنان

إلى سر سعادتي زوجي العزيز وإلى روحي وفلذة كبدي ابني إلياس عبد القادر

إلى سندي في الحياة إخوتي "عبد القادر ومختار"

وأخواتي: فاطمة، زهرة، هوارية، فتيحة، فضيلة، أمال" أزواجهم وأبنائهم

إلى الأستاذ المشرف "مرضي مصطفى"

وزميلتي في المذكرة "مهدي مباركة"

إلى من مد لي العون في إنجاز هذا البحث وإتمامه خاصة ابن الخال "قمري لحسن"

إلى كل العائلة "رخيس، قمري، شايمة"

إلى كل من حفظه قلبي ونسيه قلمي

أهدي ثمرة دراستي وجهدي وصبري هذا العمل البسيط، راجية من المولى عز وجل أن يهديني وإياكم إلى الصراط وينير الدروب

سـهـــــام

إهـــــــــــــــــداء

إلى التي حملتني وهنا على وهن إلى التي إذا نطق بها لساني فرح بها قلبي، وإلى التي إذا بصرت عيني فيها ارتاح بالي.

إليك يا وردة حياتي ونبع الحب والحنان أمي الغالية "عالية"

إلى الذي بقربه تطمئن النفوس وبغيابه تذرف الدموع إليك يا ضياء البيت ونبع التضحية والعطاء أبي العزيز "نجادي"

إلى من بهما أكبر، وعليهم اعتمد إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي وبوجودهم اكتسب قوة ومحبة إلى إخوتي خيرة، ياسمين، وأحمد.

إلى كل من عرفتهم في مشواري الدراسي إليكم صديقاتي: سعيدة، خديجة، سهام، فاطمة، مختارية، حياة، أسماء، كريمة

إلى خالاتي وابنتيهما حنان وإكرام

إلى ابنة عمي الغالية ليلى التي وقفت بجانبي في الأوقات الصعبة

إلى الروح التي سكنت روحي سمير حفظك الله

إلى كل من عرفته من قريب أو من بعيد وتعذر علي ذكره

إلى كل هؤلاء أهدي لكم ثمرة جهدي

مـــــبـــــــاركـــــــة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الباحث في تراثنا البلاغي ليجد أنه يزخر بأرفع العلوم نقاءا من بينهما علم البلاغة، فهو مرتقي علوم اللغة وأجلّها وأشرفها، فالمرتبة الدنيا من الكلام هي التي تبدأ بألفاظ تدل على معانيها المحددة ثم تندرج حتى تصل إلى الكلمة الفصيحة والعبارة البليغة، فإذا كانت اللغة تعبر عن الفكر، فالبلاغة تمثل الفكر كله.

لذلك فإنّ الدرس اللّغوي قد أعاد للبلاغة وهجا، وأمدها بحياة فقدتها منذ عصور طويلة، فما فعله بيرلمان "Chaim perlman" يعد سابقة علمية فريدة، وما نتج عنها من شمولية لمفهوم البلاغة بحيث احتوت الجانبين اللّغوي النصي، والتداولي المقامي في إطار حجاجية الخطاب، جعلها علما عاما للخطابات، ويساعدها على ذلك تفاعلها مع الحوار المعرفي من لسانيات وسيميائيات، وعلم النفس وعلم الاجتماع، والأنتروبولوجيا ... ليعملا معا في سبيل الكشف عن مكامن الإقناع في كلّ الخطابات.

بالموازاة مع ذلك تشهد الساحة اللغوية العربية حركية بحثية من أبرز معالمها:

– مشروع البلاغة الجديدة والنقد الأدبي للأستاذ "محمد العمري" الذي يبعث في بلاغة الخطاب الإقناعي وتمثلاته حاضرا وقديما، ومحاولا إزاء ذلك توضيح مسلك البلاغة والخروج بمفهوم شامل لها، ليعيد لها مكانتها الغابرة.

ووفقا لهذا المشروع الذي سار بالتوازي في الساحة اللّغوية العربية، برزت دعوات البحث في الحجاج ضمن التراث اللغوي عربيا وغربيا، كما فعل مجموعة من الباحثين التونسيين بإشراف "حمادي صمود" في كتابه "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، و"محمد الولي" الذي حدد قوام البلاغة الأرسطية في مقالاته، وبذلك طفت البلاغة الجديدة لـ "perlman" على السطح لتصبح منهجيته قارة لدراسة الخطابات، ووفق هذه النظرية أصبح يطلق على هذا العصر

عصر الخطابة بالمعنى الواسع وتصدى الدارسون للحجاج في مختلف الخطابات السائدة فيه، ولذلك يعتبر الحجاج والبلاغة من الموضوعات التي يركز فيها في الدراسات المعاصرة.

ولم تكن دراسة البلاغة حديثة ولا من مستجدات العصر، إنما هي موغلة منذ القدم إذ يرجع إلى عصر اليونان وما جاء من مؤلفات أرسطو وأفلاطون وظهورها في الدراسات المعاصرة عند شايم بيرلمان وديكرو في أبحاثها المسماة البلاغة الجديدة إلى الخطاب الذي شكل محور نقاش واسع منذ عقود، ولا يزال مستمرا إلى يومنا هذا، بل مزال يتطور ويتسّع ويتشعب قصد الإلمام بكل أنواع الخطابات من تلك التي كانت منذ زمن بعيد مجرد موضوع تحليل ونقد لأبسط الملفوضات ولعل السبب يعود إلى رغبة الباحثين والنقاد وكذا المحللين في الوصول إلى علم يساعدهم على اِلتماس الأبعاد الحقيقية لما يتجه الإنسان من خطابات، مهما تنوعت وتفرعت.

من هنا جاءت فكرة البحث في مجال البلاغة والخطاب، كميدان بكر في الدراسات العربية الحديثة، التي تهدف بدورها إلى تقديم دراسة حول الصورة البلاغية بما تتضمنه من مقاصد لأجل الوقوف على أهداف الخطاب ومع تعدد هذا الأخير ساعد صور البلاغية على الخروج من بوتقة التنميق والزخارف اللفظية كل هذا أدى إلى انفتاح معاصر على النظريات والمناهج التربوية الغربية الذي أدى بدوره إلى تطوير الدرس البلاغي العربي.

ويعد العمري من البلاغيين العرب الذين استطاعوا وضع البلاغة العربية في مكانها الطبيعي، ولعل اهتمامهم في البلاغة المعاصرة كان نتيجة وحوصلة للدراسات المبكرة حول مصطلح الإقناع في الخطابة العربية القديمة، نظرا لتشبعها الكبير في التراث العربي البلاغي الذي استند على بلاغة عربية جديدة عن طريق دعامتين: أولهما تتمثل في دعامة الاتجاهات العربية التراثية المتميزة، وثانيهما تكمن في البلاغة الغربية وما تقوم عليه من موروث يوناني قديم بالإضافة إلى اتجاهات أسلوبية حجاجية ونصية حديثة.

ومن هنا جاء موضوع بحثنا تحت عنوان: "في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) –الخطابة في القرن الأول نموذجا–" يطرح هذا البحث جملة من الأسئلة المنهجية والمعرفية تتمحور حول ظهور بلاغة عامة تجمع بين معطيات البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة في بلاغة الإقناع والخطاب.

وبعد اقتناعنا بموضوع: في بلاغة الخطاب الإقناعي تم اختيار مشروع "محمد العمري" في كتابه الموسوم بـ " في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) –الخطابة في القرن الأول نموذجا–" في فصلين (الأول نظري والثاني تطبيقي).

ومن خلال الأهمية الكبيرة لموضوع البلاغة والإقناع طرحنا **الإشكالية** التالية:

- فيما تكمن جهود محمد العمري في تحديث البلاغة العربية؟.
- ما هي أهم القضايا التي ناقشها محمد العمري في كتابه في بلاغة الخطاب الإقناعي؟.

ومن **الدوافع والأسباب** التي جعلتنا نختار هذا الموضوع:

– هو تأثرنا بالموروث البلاغي الذي استوعب النصوص العربية ومنه الاكتشاف للمشاريع البلاغية والتحديث فيها.

– ميلنا إلى الدراسات البلاغية.

– رغبة منا في معرفة الدرس البلاغي والحجاجي والتعمق في الآليات المحققة للإقناع إيمانا منا بضرورة القيام بمثل هذا النوع من الدراسة لا يزال البحث فيها في الفكر البلاغي العربي الحديث.

أما عن **أهداف الدراسة:**

– الوقوف على الآليات الحجاجية والدور الذي تؤديه في الخطاب الإقناعي.

– معرفة محمد العمري من خلال دراسة مشروعه.

لذلك اقتضت خدمة البحث تقسيمه إلى مدخل وفصلين وخاتمة، حيث احتوى المدخل على التعريف بمحمد العمري أدبيا وناقدا، جاء الفصل الأول موسوما بـ: أسس البلاغة الجديدة توزع على مبحثين، المبحث الأول المشروع البلاغي لمحمد العمري، والمبحث الثاني البحث في بلاغة الخطاب الإقليمي أما الفصل الثاني فهو تطبيقي المعنون بالخطابة في العصر الإسلامي والأموي، انقسم إلى ثلاثة مباحث المبحث الأول بعنوان آليات الحجاج في الخطبة والمبحث الثاني دراسة فنية وفكرية لخطبة الحجاج بن يوسف الثقفي، وأخيرا المبحث الثالث الآليات البلاغية والحجاجية لخطبة حجة الوداع، وفي الأخير ختم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها.

أمّا **المنهج** المتبع في تحليلنا لهذا الموضوع التنوع في مناهج وهذا راجع إلى المزج المعرفي بين ما هو قديم يمثل مرجعية لا رجوع من تناولها وما هو حديث يمثل أفقا حاضرا ينشد كل جديد إلا أن المنهج الوصفي التحليلي هو الغالب في البحث وذلك لطبيعة الموضوع إلى جانب المنهج التاريخي.

واعتمدنا في هذا الموضوع على مجموعة من **المصادر والمراجع** لإثراء دراستنا منها:

- في بلاغة الخطاب الاقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) -الخطابة في القرن الأول نموذجا-.
- كتاب البلاغة العربية والبلاغات الجديدة "قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة" للأستاذ بوعافية محمد عبد الرزاق، ومجموعة من المصادر والمراجع التي لها علاقة بالبحث.

وكانت لهذه الدراسة مجموعة من الصعوبات كانت عقبة في طريق إنجاز بحثنا تكمن في:

- قلّة الدراسات المتناولة لهذا الموضوع في جامعتنا (ابن خلدون تيارت).
- قلّة الاهتمام بالتراث اللغوي.
- محدودية الوقت إذ أنّ هذا الموضوع يحتاج إلى تعمق كبير نظرا لأهميته.

وختاما كلمة لأصحاب الفضل أستاذي مرضي مصطفى الذي أمدنا بنصائحه وكنفنا بمعمله، ووجهنا بثاقب بصيرة لننجز هذا العمل تحت إشرافه طيلة هذه المدة وشكرا على صبره وسعة صدره وسمو أخلاقه.

شكرا لمن أسدى لنا بعض النصائح، أضاءت جزءا من عتمات هذا الطريق، شكرا للجنة المناقشة على التقييم وشكرا لأساتذتنا في قسم الآداب واللغة العربية، والله المستعان.

تيارت في: 2019/06/30

26 شوال 1440

من إعداد الطالبتين:

رخيس سهـام

مهدي مباركة

مدخل

محمد العمري (أديبا وناقدا)

الحياة العلمية والمهنية:

محمد بن عبد الله بن حمو العمري من مواليد سنة 1945 بقرية " الحارة " على ضفاف وادي درعة جنوب المغرب، تعلّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وبعض المتون والمنظومات على يد والده بقرية "الحارة" وعند استقلال المغرب التحق بالمعهد الإسلامي بمدينة تارودانت (معهد محمد الخامس حاليا).

حصل من معهد محمد الخامس (من سنة 1958 إلى سنة 1968) على الشهادة الابتدائية والثانوية والبكالوريا الأصليّة بميزة حسن (وهي ميزة نادرة وقت ذاك في مستوى البكالوريا المغربية).

في سنة 1968 التحق بجامعة محمد الخامس (فرع فاس) حيث حصل على الإجازة في الأدب العربي (من سنة 1968 إلى سنة 1972) بأربع ميزات (أي ميزة عن كل سنة) وحصل في نفس السنة على شهادة الكفاءة التربوية للتدريس بالمدارس الثانوية، واشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية من سنة 1972 إلى سنة 1981، متابعا تكوينه الجامعي بموازاة التدريس.

في سنة 1974 حصل على شهادة استكمال الدروس (شهادة الدروس المعمقة) من جامعة محمد الخامس بالرباط.

وفي سنة 1981 تحصّل على دبلوم الدراسّات العليا من الجامعة السالفة الذكر، وإلتحق بالتّدريس أستاذا مساعدا بكلّية الأدب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفارس إلى سنة 1999.

وفي سنة 1989 ناقش أطروحة دكتوراه الدولية في الآداب العربي من نفس الجامعة فرقّي إثرها إلى درجة أستاذ محاضر، ثمّ رقيّ سنة 1993 إلى درجة أستاذ التعليم العالي.

التحق خلال السنة الجامعية 1995-1996 بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض أستاذا للبلاغة والنقد الأدبي.

عمل أستاذا للبلاغة والنّقد الأدبي بكلّية الآداب، ابتداء من أوت 2005.

المجالس العلمية والجمعيات:

الإشراف على وحدة التواصل وتحليل الخطاب / مكونات الخطاب وآليات اشتغاله الدراسات -المعمقة 99-2002 والدكتوراه 97-2002 كلية الآداب /فاس/ المغرب.

خبير معتمد لدى اللجنة العلمّية الوطنّية لمنح الاعتماد في الدراسات العليا والدكتوراه التابعة لوزارة التعليم العالي ابتداءا من1997.

- عنصر منتخب باللجنة العلمية لكلية الأدب، ظهر المهراز /فاس/97/05/22-16-09-1999م.

- عضو مجلس جامعة سيدي محمد بن عبد الله 1990-1992 ثمّ 1996-1998

- عضو اللّجنة العلميّة لشعبة اللّغة العربيّة في أواخر الثمانينات، ثمّ في الفترة 1996-1998.

- عضو إتحاد كتاب المغرب.

- إنشاء وتسيير لجنة الحوار الثّقافي والبحث العلمي بكلية الآداب بفاس بمشاركة مجموعة من الأساتذة.

- الإشراف على إلقاء محاضرات عامة من جميع التخصّصات، لعموم طلبة الكلّية، طوال السّنة الدراسيّة 1998-1999م.

- عضو مكتب جمعية مدرسي اللّغة العربيّة بالدار البيضاء في أواخر السبعينات.

- مدير مجلتي دراسات أدبية ولسانية، ودراسات سيميائية أدبية لسانية.

الجوائز التقديرية:

1990: جائزة المغرب الكبرى للكتاب، عن كتاب تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية.

2007: جائزة الملك فيصل العالمية، فرع اللغة والأدب، في موضوع: الأبحاث التّي تناولت البلاغة العربيّة.

المشاركة في اللقاءات العلمية:

– شارك في العديد من الندوات واللقاءات الثقافية في المغرب والعالم العربي:

– تقديم ورقة حول الإيقاع في القصيدة العربيّة الحديثة في الملتقى الأول للشعراء العرب المنعقد بتونس بتاريخ: 23–25 أكتوبر 1997م.

- المشاركة في يومين دراسيين نظمتها شعبة الفلسفة بكلّية الآداب، بفاس في موضوع: الفلسفة والشعر بتاريخ: 20–1997/11/21م.

- المشاركة في ندوة تكريم الأديب المفكر التونسي محمود المسعدي المنعقدة بجامعة تونس بتاريخ: 11–1997/10/12، بموضوع: الإيقاع تنظيرا وممارسة في أعمال محمود المسعدي.

- المشاركة في ندوة الحاج والإقناع في البلاغتين العربيّة والغربيّة، كليّة الآداب، مكناس 12–13 مارس 1998 م بموضوع: السخريّة آليّة حجاجيّة.

- المشاركة في يوم دراسي حول: حي بن يقضان لابن طفيل، تنظيم وحدة التواصل وتحليل الخطاب بكلية الآداب بفاس بتاريخ: 1998/11/1م.

- المشاركة في ندوة العلوم الإنسانية، الجامعة والشراكة، نضمتها كلية الآداب بالمحمديّة بالتعاون مع جامعة محمد الخامس بالرباط ومؤسسة كونراد الألمانية بمراكش 12–1998/11/13 مداخلة بعنوان انفصال الدرس عن المحيط المعرفي الفاعل، نوفمبر 1998م، عنوان المداخلة: المجاز في البلاغة العربيّة.

– ندوة ابن رشد،تنظيم جامعة القاضي عياض بمراكش بتعاون الجامعة الفلسفية المغربية 1998/12/17م . عنوان المداخلة: من المحاكات إلى التغيير.

إلقاء محاضرة ضمن أنشطة جمعيّة الطلبة الباحثّين بكليّة الآداب بفاس يوم: 1999/02/19م في موضوع: مصطلح الدرس الأدبي والنسق المعرفي.

– المشاركة في ندوة حول المفاهيم نشأتها وتطّورها، نظّمت بالتعاون بين جامعة محمد الخامس بالرباط ومؤسسة كونراد الألمانية بمراكش 25–1999/11/28م

– المشاركة في ندوة حول الصورّة من تنظّيم شعبة الفلسفة بالرباط، بإشراف الأستاذ محمد المصباحي 2000م بموضوع: مفهوم الصورّة في البلاغة العربيّة.

– المشاركة في ندوة رؤساء شعبة اللّغة العربيّة لتدارس وضعية التدرسي الراهنة وآفاق الإصلاح في ضوء مقترحات إصلاح التعليم العالي، انعقدت بكلية الآداب بالرباط يوم: 2000/09/29م (المساهمة في المناقشة والاقتراح).

–إلقاء المحاضرة الافتتاحية للموسم الثّقافي 2000–2001م: لرابطة أدباء المغرب يوم: 2000/10/06م بقاعة المعهد العالي للمسرح بالرباط، بعنوان: دائرة الحوار، وتدبير الاختلاف.

– المشاركة في يوم دراسي من تنظيم: المركز المغربي للدراسات والنشر والإعلام، يوم: 2000/06/20م، نظم بفندق بالدار البيضاء (المساهمة في الاقتراح).

– المشاركة في ندوة حول: المواطنة والحداثة، تنظيم: نادي المواطنة، 2000، بفندق الدار البيضاء (المساهمة في المناقشة والاقتراح).

– كما أشرف على طلبة باحثين في مستوى الدكتوراه، في إطار وحدة التواصل.

– المشاركة في فحص الأطروحات الجامعية ومناقشتها[1].

الحوارات[2]:

كانت للباحث المغربي " محمد العمري" جملة من الحوارات، نذكر منها:

– محاورة مع "محمد حمداني"، موضوعها: البلاغة العربيّة بين المقصدية والخييل.

– البلاغة والنقد الأدبي محاورة مع "محمد مشبال" موضوعها: في قراءة التراث البلاغي العربّي، علاقة حوارية نقديّة.

– محاورة مع "حسن المودن": موضوعها: في قراءة التراث البلاغي العربّي، علاقة حوارية نقديّة.

– محاورة مع "محمد الوالي" وإدريس جبري" موضوعها: "مشروع قراءة " نسقيّة للبلاغة العربيّة.

[1]– موقع الأستاذ محمد العمري http:// www.medelomeri.perso.sfr.fr/emtree.htm.net.

[2]– ينظر: تفصل هذه الحوارات في الفصل الثالث من كتاب : أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة لمحمد العمري.

– محاورة مع نور الدين أفاية في إطار البرنامج التلفزي مدارات موضوعها: "تخليق الخطاب، دائرة الحوار ومزالق العنف".

– محاورة مع المرحوم " المختار الزياني ". موضوعها: بلاغة الخطاب السيّاسي المغربي.

– محاورة مع "المرشد الكميم". موضوعها في البحث عن بلاغة عربيّة حديثة.

المؤلفات:

له عدة مؤلفات ودراسات في البلاغة وتحليل الخطاب، تأليفا وتحقيقا، وترجمة، نذكر منها:

– في بلاغة الخطاب الإقنّاعي، مدخل نظري وتطبيقّي لدراسة الخطابة العربيّة 1986م.

– بنيّة اللغّة الشعريّة – جان كوهن– ترجم بمشاركة د.محمد الولي 1986م.

– الاتجاهات السيمولوجيّة المعاصرة، مارسلو داسكال (بالاشتراك مع آخرين) 1987م.

– ترجمة البلاغة والأسلوبيّة لهنريش بليث 1989م.

– تحليل الخطاب الشعري: البنيّة الصوتية 1990م.

وله أيضا في الترجمة:

- بنية اللغة الشعريّة: جان كوهن، بمشاركة "محمد الولي".
- الإتجاهات السيميولوجية المعاصرة: "مارسيلو داسكال".

وفي السرد صدرت له:

- أشواق درعية العودة إلى الحارة وزمن الطلبة والعسكر.

إلى جانب إصداره رفقة زملائه مجلّتين متخصصتّين في الدراسّات اللّغوية والبلاغة، إذ تولى إدارتهما وهي كالتّالي:

– مجلّة دراسات سيميائيّة.

– مجلّة دراسات أدبية لسانيّة.

يعدّ محمد العمري من أبرز البلاغيين العرب الذّي أسهم في إحياء البلاغة من خلال استثماره للمكتسبات المنهجية الجديدة ولاسيما جهوده وانجازاته العلميّة، التّي بذلها للنهوض بالبلاغة في الغرب والعالم العربي[1].

تقيم أعمال محمد العمري:

من خلال أعماله سنحاول تقيمها وجهوده في مجال البلاغة والتحليل الخطاب وكذا النقد التّي احتلّت مكانة رفيعة في إحياء وتطوير الدّرس البلاغي العربي.

1- توسيع الخطاب الحجاجي الإقناعي والمعرفي العام للبلاغة العربيّة.

2- استرجاع المفهوم البلاغي الجديد لبعدها التداولي الحواري.

3- إعادة الاعتبار للبنيّة الصوتيّة في الشّعر، وهذا نجده في كتابيه "تحليل الخطاب الشعري" و"الموازنات الصوتية".

4- استرجاع البعد المفقود في تجاذب المجال الأدبي والفلسفي المنطقي.

5- ردّ الاعتبار للبلاغة العربيّة وجعلها تدرس في جميع المستويات.

6- ساهم مشروعه العلمي بفتح أفق جديدة للدراسات البلاغيّة والنقديّة.

7- توزّعت أعماله العلميّة تحقيق، ترجمة، تأليف بين تحليل الخطاب الشعري تارة وبين تحليل الخطاب التداولي تارة أخرى[2].

ومن خلال السيرة الذاتيّة للأستاذ "محمد العمري" نجد أنّ أعماله قد أسهمت في تطوير آليّات النظر البلاغي والمقاربة المنهجيّة للموروث البلاغي العربيّ القديم، إلى جانب إغناء المكتبة العربيّة في المجالين اللّساني الفلسفي والمنطقي وغيرهما من علوم اللّسان.

كما جعل من البلاغة علما كليا للخطابات التحليليّة والتداوليّة الهادفة إلى التأثير والإقناع وقد قام بنفض الغبار على البلاغة العربيّة التّي ضلّت مهملة لسنوات طويلة.

---

[1]- موقع الأستاذ محمد العمري http:// www.medelomeri.perso.sfr.fr/emtree.htm.net.

[2]- http:// www.studies.com.

الفصل الأول:

أسس البلاغة الجديدة

المبحث الأول: المشروع البلاغي لمحمد العمري

المبحث الثاني: البحث في بلاغة الخطاب الإقناعي

تمهيد:

تعتبر البلاغة من الفنون الأدبيّة اللّغوية، التّي تعنى بدراسة الوسائل التّي تساعد على فهم مختلف النصوص النثريّة والأدبيّة، فمتصفحها يلاحظ أنّها انتقلت في مراحل أربع هي: مرحلة النّشأة، النموّ، الازدهار، ثمّ الذبول كما أنّ كلمة البلاغة حين ترد في كتب الأدب في الزّمن الأول –قبل القرن الرابع– المعنى العام للقول الجميل الذّي يبلغ به الأديب درجة من الجودة والإبداع.

والباحث حينما يلتمس البذور الأولى للبلاغة العربيّة، يجد أنّ جذورها متأصلة منذ العصر الجاهلي هؤلاء الذّين عرفوا بمرتبة من الفصاحة والبيان في شعرهم، إلى غاية ظهور الإسلام، ومع نزول القرآن الكريم الذي أصبح حجّة قاطعة لهم، والذّي كان لهم سندا كبيرا في فهمهم للتّراث وتقدير اللّغة، ثمّ أخذت تتّسع هذه الدراسات في العصر العباسي وظهور البديع والبيان، أكدّ ذلك لنموّ مباحث البلاغة نموّا سريعا، ومع نفس العصر نشأت مجموعة من النّقاد الذّين أثارتهم البلاغة أمثال: "ابن السلام الجمحي"، و"قدامة ابن جعفر"، و"أبو الهلال العسكري".

وهذه الدراسات أينعت على يد عبد القاهر الجرجاني والتّي هيأته لوضع علمي المعاني والبيان وضعا منقطع النظير، إلى جانب السكاكي والقزويني الذّين لهم أعمال خالدة في تاريخ البلاغة.

لم تكن الغاية سوى بيان المراحل التّي مرّت من خلالها البلاغة العربيّة حرصا على استنقاذ كل تراث أسلافنا، ومن مباحث البلاغة العربيّة إلى مباحث البلاغة الغربية، التّي أدت إلى تطّور البحوث البلاغيّة في كلّ الثورة اللسانيّة الحديثة، هؤلاء عنوا في بلاغتهم بدراسة الأساليب والفنون الأدبيّة بالطريقة التّي تسمح بإثراء الخطابين البلاغي والنقدي المعاصرين.

أمّا البلاغة الجديدة التّي كانت قبلة للكثير من الباحثين في جوهرها للعرب وغير العرب والتّي بدأت مسيرتها عند الغرب منذ سنة 1958م، على يد بيرلمان ونظريته المتعلقة بالحجاج، الموسومة بـ "مدرسة البلاغة البرهانية" الذي يوضح فيه نظرية المحاجّة، والدور الذّي قام به "تيتيكا"، "تولمين"، "ديكرو" الذّين استطاعوا أنّ يجعلوا من البلاغة مبحثا علميا حيث يرتبط مباشرة بأرسطو ويسمح باستيعاب الجاحظ بسر وقد كان هذا البعد الإقناعي قد غيّب في البلاغة العربيّة على حدّ قول محمد العمري، وقد طبقّ هذا التّصور البلاغي على الخطابة العربيّة في القرن الأوّل الهجري مجتهدا في كشف آلياتها الإقناعيّة التّي تميزّها عن الشعر.

المبحث الأول: المشروع البلاغي لمحمد العمري

أولا: معنى وفكرة المشروع البلاغي

إنّ كلمة مشروع تحمل معاني التخطيط والتّحقيق وتوحي بمفهوم التكامل والتناسق خاصة إذا ما تعلق الأمر بمشروع فكري، فأعمال مفكر ما تكتسي صفة المشروع، إذا كانت بينّة الأهداف تحقق التواصل بين الأعمال التّي ينجزها وتسير أعماله ضمن مقصد واحد، وإن تعددّت طرقه الفرعية التّي ترجع دائما إلى هذا الأصل الموحّد.

فالمشروع "يعني تصورا نظريا لعمل قابل للإنجاز"[1]، وهذا ما ينطبق على عمل العمري فالرجل يقدم منذ البواكير الأولى تصورا نظريا لما يتصور عليه البلاغة، ويدعمه بالجانب التطبيقي والإنجازي، ونجد عنصر النسق والتواصل موجود، بحيث لا يمكن أنّ نصف عملا من أعمال العمري خارج نطاق مشروعه البلاغي، حتى تحقيقه للمسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل للإفراني، فإنّ الرجل يرجعه إلى عمل بلاغي يرصده ضمن بلاغة النص التّي تهتّم بجزئيات التواصل والتّماسك النصّي وتركّز على وحدة النص الكامل دون اجتزاء أو تقطيع للأوصال الجامعة للنص الواحد.

وأعمال العمري تأتي في نسق واحد حتى أعماله في تحليل الخطاب السيّاسي تندرج ضمن الرؤيّة البلاغيّة الموسعّة، وهذا الأمر ينعكس على رؤيتنا لمشروع الرجل، فلا يمكن أخذ عمل من أعماله بعزلة عن سابقه أو لاحقه، أو حتى بعيدا عن النّسق الذي يعمل عليه الرجل، أو المقاصد التّي وضعها لمنجزاته.

وتركيزنا على مفهوم المشروع وعنصر التواصل فيه والمقصدية الموحدة، يضعنا أمام نقطة مهمّة وهي عدم الخلط بين آراء صاحب المشروع وآراء غيره في موضوع قد يشترك فيه معه، لأنّ العمري باعتباره صاحب مشروع ستكون نظرته موجهة في إطار الخلفيات والمنطلقات التّي وضعها والمقاصد التّي حددها.

---

[1]- محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، دار الأمان الرباط، ط 1، 2014، ص: 249.

إذ يعدّ الباحث "محمد العمري" من الباحثين المجدّين الذّين لهم باع طويل في حقل البلاغة العربيّة، وذلك لما قدمه من التصّورات والمفاهيم التّي حوتها مؤلفاته فأغنت الطالب العربي وأمدته بمادة علمية غزيرة لا تنفد استثمرها في جلّ أبحاثه ودراساته، وتتمثّل هذه التصّورات التّي قدّمها "العمري" في شكل مشروع ضخم رواده وشغل باله طيلة عقود من الزّمن، إنّه مشروع بلاغي بالدرجّة الأولى يضّم بين طيّاته الكثير من المفاهيم التّي ارتبطت ارتباطا وثيقا بـ (البلاغة، الحجاج، بلاغة الخطاب الإقناعي، التخييل والتداول...) وبذلك فقد حمل "العمري" على عاتقه حملا ثقيلا في قراءته للبلاغة العربيّة قراءة مهما خيّل للباحث أنّها اكتملت إلّا ومع اكتمالها مؤشر لبداية البحث في جانب آخر منها، وعن الإلمام بالبلاغة ومدلولاتها يقول "حازم القرطاجي": "وكيف يظن إنسان أنّ صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزمن القريب، وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار"[1].

يفهم من كلام "القرطاجني" أنّ البلاغة تعدّ صنعة نشأها كلّ الصنائع، إلّا أنّها صنعة متجذّرة في الزمن وقديمة قدم الإنسان على وجه الأرض فهي لصيقة به، وتواجدها وتمثّلها من لدن الباحثين هو أمر من المسلمات التّي لاشكّ فيها، إلّا أنّ الأهّم في الأمر كلّه هو ذلك البعد الإقناعي الذي باتت البلاغة العربيّة اليوم وثيقة الصلة به، بعد أنّ كان مهملا مغيبا على تعبير "العمري" (فمن خلال الإطلاع على الجهود الحديثّة التّي بذلت، منذ منتصف القرن الماضي، من قبل المشتغلين باللّغة والخطاب من اللّسانيين (ياكبسون مثلا) والمناطقة (بيرلمان مثلا) بدأنا ننتبه للمكون المهمل من تراثنا البلاغي، ذلك المكون الذي غطاع الصدأ واختلط تبره بترابه، وعلى هذا الأساس أعدنا الاعتبار للبعد الحجاجي الإقناعي للبلاغة العربيّة، بعد أن عمقنا البحث في بعض الجوانب المهملة من البناء الشعري (البنية الصوتية)، اقتضى كشف كل هذا الغنى "تنسيق" البلاغة العربيّة تاريخيا ليكون ذلك النسق حجّة على أنّ البلاغة التّي تسعى لبنائها ليست غريبة عن التراث العربي، وهكذا كان هذا كتابنا،

[1]- حازم القرطجاني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيرروت، 1986، ص: 88.

البلاغة العربيّة أصولها وامتدادها، خريطة لتلك الأرض التّي ضاعت من البلاغة في ظروف انكماشها وكان لزاما أنّ نعود من حين لآخر لتساءل:

- ما مفهوم البلاغة؟
- وما علاقة الأدب بتحليل الخطاب؟
- البلاغة والأدب والنقد الأدبي؟

اهتّم العمري بتحدي مفهوم البلاغة وعرض لها الأمر في العديد من المواضع في مؤلفاته، فالبلاغة مفهوم تاريخي يتغير بحسب الثقافات والحقب سواء في الثقافة العربيّة الإسلاميّة أو الغربيّة القديمة والحديثة[1]، لكنّه بعد طواقه بالنظريات الغربية والتراث العربي يقول: "أمّا بعد هذه التمهيدات فمن حق من درس في جامعتنا، من المحيط إلى الخليج، أنّ يسألني الآن: عن أي بلاغة تتحدث؟"[2].

هذا السؤال الذي رأى العمري أنه من الضروري أنّ يكون حاضرا في الدراسات العربيّة لأنه محرّك البحث الذّي دفع الدراسات الغربية إلى البحث عن بلاغات متنوعة ومنه تطوير درسهم النقدي.

ويجيب العمري عن هذا التساؤل مقسّما البلاغة إلى كفاءة تعبيريّة لأنّ الكلام البليغ هو الكلام الفعال المعجب، وإلى العلم الذي يصف هذه الكفاءة وهذا الحسن، ويوضح بأنّ تركيزه سيكون على المعنى الثاني مع عدم تغيب الأوّل، ليصل في الأخير إلى قوله: "ومن هنا نقول: البلاغة هي علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال"[3].

والخطاب المؤثر القائم على الاحتمال يتوزع عبر نوعين:

1- الخطاب التداولي الحجاجّي.

2- الخطاب التخييلي الشعري.

---

[1]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2013، ص: 11.

[2]- المرجع نفسه، ص: 17.

[3]- المرجع نفسه، ص: 18.

لكن ليس من الضروري التساؤل عن الخلفية المرجعية التّي حدّد من خلالها العمري مفهوم البلاغة؟ ألم يتأثر تحديده هذا بالخلفيّة الأرسطية؟ وبلاغة الحجاج؟ وما محلّ التراث العربي في المفهوم الذّي قدّمه للبلاغة؟

ألا نلاحظ بأنّ المفهوم الذّي قدّمه "العمري" يرمي إلى بناء بلاغة مغايرة للتصّور القديم؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هو التصور الذّي يريد العمري ترسيخه؟ في دراسة متأخرة منشورة له في كتاب مشترك أعدّه محمد مشال يوضّح العمري أنّ البلاغة التّي يرمي إليها هي بلاغة عامة تؤسّس موقعها بدراسة كلّا النوعين من الخطاب، التداولي والشعري، ويناقش من خلاله عرضه هذا مسألة البلاغة والخطابة بين الوجهتين العربيّة والغربيّة، موضحا بأنّ مفهوم (Rhétorique) عند الغربيين حديثا يطابق الرؤية العربيّة التراثية التّي ترى بأن البلاغة هي بلاغة عامة تتناول جميع الخطابات، والبلاغات الخاصة بكلّ خطاب[1].

ويشرح مسألة الريطورية التّي ينظر إليها باعتبارها تتناول الخطاب الإقناعي، وقد ساهمت الدراسات التداولية في إعادتها إلى الساحة تحت مسمّى البلاغة الجديدة أو الحجاج، لكنّ الاستخدام المتكرر لكلمة بلاغة بين المعنيين السابقين خاصة في الدراسات الغربيّة، والترجمات العربيّة يحدث نوعا من الاضطراب، أبقى "العمري" مترددا لمدة عقدين من الزمن ليصل في النهاية إلى أنّ البلاغة علم يتناول الخطابين معا التحنيلي والتداولي حيث يطلق على الأول الشعرية، وعلى الثاني خطابية، محافظ على المفهوم الأرسطي، وكلا المنتجين يرجعان إلى إنشاء المتكلّم، أمّا الخطابة فقد جعلها خالصة للمنتج الكلامي الذي يقصد به الإقناع والتصديق، وقد أشار غلى استيعاب التراث العربي لهذه التقسّيمات، كما أنّ النّسق الحديث يتقبل ما يقدمه من تفريعات، يقول في ذلك: "فالبلاغة باعتبارها العلم الذّي يتناول الخطاب الاحتمالي المؤثر تنقسم إلى شعرية تتناول كل المخيلات، وخطابية تتناول كل المصدقات (أو التداوليات)[2].

[1]- محمد ميشال، البلاغة والخطاب، ص: 42.

[2]- المرجع نفسه، ص: 44.

ثمّ يقدّم خطاطة تجمع رؤيته للبلاغة كما يراها بلاغة عامة تتناول بالدّرس شتّى أنواع الخطاب[1].

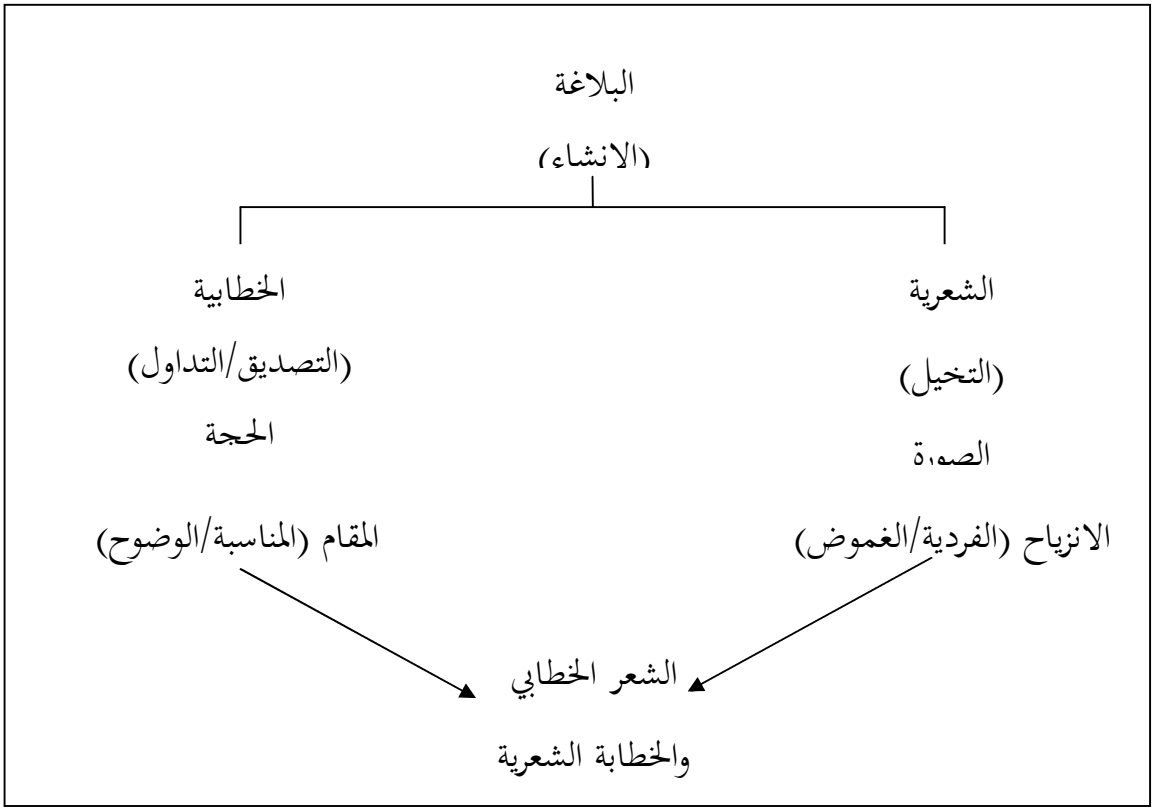

لكن العمري لم يصل إلى نتيجة البلاغة العامة دون كفاح وأخذ ورد بين الدّراسات، لأنّ الأمر يحتاج إلى مشروعية الوجود، ولا تنبني المفاهيم والحدود والميادين العلمية عفو الخاطر، فما هي جذور البلاغة العامة وما مشروعية وجودها؟خاصة وأنّ العمري يشير إلى التداخل بين الشعري والخطابي كما نلاحظ في مخططه .

يناقش العمري مسألة البلاغة العامة ومشروعية وجودها ضمن مختلف أعماله التّي تهتم بالبلاغة الجديدة والتراث العربيّ البلاغيّ، فالبلاغة العامة يتقاطع فيها التخييل والتداول وهي عبارة عن الوصل بين الشعريّة والخطابيّة وقد "بذل بلاغيون محدثون جهدا فلسفيا ومخبريا أنّ صح التعبير،في بيان مدى صلابة الأساس العلمي لقيام بلاغة عامة. باعتبارها "علما كليا" يستوعب ثمار علوم اللّسان وعلوم الإنسان"[2].

[1]– محمد مشال، البلاغة والخطاب، ص: 45.

[2]– محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص: 21.

هكذا نظهر رؤية العمري للبلاغة العامة والمرتكزات التّي يريد تأسيسها ودعمها من خلالها، فهي العلم الكليّ والمصطلح الحازمي بحت، ثمّ يعتمد الأسّس الحديثة ليبرر قيام هذه البلاغة.

إنّ مسألة قيام بلاغة عامة عند الدارسين المحدثين مثل "أوليفي روبول olivier re boule" أو "جماعة مو Groupe Mu" تستدعي إجراءين:

- الأخذ من المنجز اللّساني والمنطقي.
- التقريب بين التخيّيل والإقناع.

وفي ذلك يبيّن "روبول Reboule" بأنّ البلاغة تتقاسمها كل من نظرية الحجاج المطوّرة من طرف "بيرلمان Perlman " عن أرسطو والمهتمة بالحجّج على حساب الصور والأسلوب خاصة منها ما لا يؤدي وظيفة حجاجية والبلاغة الأدبيّة "La rhétorique l'littéraire" والتّي طريقها لتكون علما للأسلوب والصور[1].

وهذان القسمان سيطرا على الدراسات البلاغيّة إلى أنّ ظهر وعي بالمشترك المجالين اللذين تتحرك فيهما النظريتان السابقتان، هذه المنطقة التّي يركزّ عليها العمري عمله وسيحاول رصد معالمها في تراثنا البلاغي العربي، محاولا رصد الاهتمامات بهذه البلاغة والتفريق بين المشاريع الجادة ومحاولات التلفيقية.

ومن الضروري ذكر التساؤل الذي أورده ربول عقب حديثه عن المجالين اللّذين يسيطران على الدرس البلاغي إذ يقول: "هل يجب علينا الاختيار بين الحجاج والأسلوبية؟ وهل يتوجب علينا إضافة أحدهما للآخر تباعا؟

[1]– بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة – الجزائر، نقلا عن: olivier reboul la rhétorique, presses universitaire de France, 1er ed,1984, p: 32.

أمّا عن موقفنا فإنّنا نتبنى حلا ثالثا، ونبحث عن جوهر البلاغة، ليس في الأسلوبية ولا في الحجاج، ولكن في منطقة محددة هي تقاطع بينهما بعبارة أخرى ينحو باتجاه البلاغة كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب"[1].

ويعتبر العمري هذا الطموح الذّي تريد بلوغه البلاغة أمرا طبيعيا لأنّها ترغب في استرجاع الأراضي التّي فقدت منها، وأخذتها ميادين عاشت على ميراث البلاغة.

ثمّ يتّجه العمري إلى التراث العربي ليبرر شرعية وجود البلاغة العامة، ويؤصلها، يقول:"فالبلاغة العربيّة إذن مهدان كبيران أنتجا مسارين كبيرين: مسار البديع يغذّيه الشعر، ومسار البيان تغذّيه الخطابة، ونظرا للتداخل الكبير بين الشعر والخطابة في التراث العربي، فقد ظّل المساران متداخلين وملتبسين رغم الجهود الكبيرة النبرة التّي ساهم بها الفلاسفة وهم يقرؤون بلاغة أرسطو وشعريته"[2].

فالعمري يرى بأنّ البلاغة العربيّة تنطلق من الملاحظات الأولى حول الخصوصية الشعرية والجمالية التّي لاحظها العرب، ثمّ قارنوا بينها وبين النص القرآني وهذا الأمر قامت بأعبائه الدّراسات البديعيّة، ويوجد طرف ثان كان يبحث في سبل المعرفة والإقناع ويمثّله تيار البيان، من الجاحظ إلى ابن وهب الكاتب، ونلاحظ كذلك تداخل ما هو شعري مع ما هو خطابي على مستوى النص المنجز سواء كان شعريا أو نثريا، وهذا ما لفت انتباه البلاغيين، خاصة منهم من تأثروا بالتّيار الأرسطي، وأهّم شخصية تمّت الإشارة إليها هي شخصية حازم لما يقول: "ومعرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يصل إليه بشيء من علوم اللّسان إلّا بالعلم الكلّي في ذلك وهو علم البلاغة"[3].

---

[1]- بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة، ص: 94. نقلا عن:

olivier reboul la rhétorique, presses universitaire de France, 1er ed,1984, p: 32.

[2]- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص: 29.

[3]- حازم القرطاجاني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1981، ص: 226.

فالبلاغة هي العلم الكلي الجامع، وما يجمعه هو صناعتي الشعر والخطابة وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخييل والإقناع... وكان القصد في التخييل والاقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلّي عن فعله واعتقاده"[1].

فالبلاغة تجمع بين فعاليات الحجاج والتخيّيل إذ يبدو اللّقاء بينهما على مستوى:

-المواضيع والمعاني.

-المقاصد والإغراض (التأثير).

ويفترقان في خصوصيات تحفظ لكلّ استراتجياته الخطابية، في عنصري التخييل والإقناع، وسيشير القرطاجاني إلى التداخل بين الأمرين، وفي ذلك يقول"العمري":"فالشعر مبني على التخييل، وقد يستعمل مكونات الإقناع الخطابي ضمن هيمنة العنصر الذاتي وعكس ذلك حال الخطابة التّي تنبني على العناصر الاقناعية وتدخل العناصر التخييلية في خدمتها"[2].

وبهذا ينبني مفهوم البلاغة والبلاغة العامة عند العمري على لقاء عنصري التخييل والتداول، ويقوم ببناء شرعية وجود هذه البلاغة وأحقيّة تطبيقها بالحوار بين النموذج الغربي الحديث والتراث العربيّ، من أجل ترسيخ هذا النموذج الذي يرى فيه العمري مجالا يسمح باستعادة البلاغة لمكانتها التّي كانت عليها واستعادة الأراضي التّي فقدتها منذ تحنيط البلاغة.

وبذلك فإنّ فكرة المشروع البلاغي عند "العمري"تشكل نواة مؤسسة لرؤية جديدة للبلاغة العربيّة في ثوب مغاير تماما عن الذّي أنّفناه سابقا، فهذه الرؤية التّي تسعى قدر الإمكان إلى كسر تلك الهوة التّي أصابت البلاغة في مقتل، وأحدثت فجوة بين القديم والحديث، فكان لزاما إعمال الجهود لسد ذلك الشرح الذي أصاب البلاغة، وهذا ما عمد" العمري" إلى سدّه بقوله: (ولكنّ الذّي لا شكّ فيه أنّي أحسست بهذا الفراغ، وبحثت جهدي فلم أجد من ندب نفسه للمساهمة في سده دون تهميش للبلاغة العربيّة أو بعد عن النص الخطابي العربيّ (...) ثمّ رأيت الدارسين الغربييّن المحدثين

[1]- حازم القرطاجاني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 19.

[2]- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 57.

الذّين لهم باع في هذا المجال يستنيرون بآراء أرسطو، بل يعتبرونها حديثة ومناسبة للمجتمعات الحالية، فزاد اقتناعي بإمكان تأطير اجتهادات وإضافات البلاغيّين العرب وبالإطار العام للنظرية الأرسطية، وإغناء ذلك باجتهادات إضافات البلاغيين ودارسي الخطاب الإقناعي من غير العرب في القديم والحديث في حدود ما يسمح به حجم هذا العمل والفرض الذي رصد له أولا"[1].

وإلى جانب دراسته للخطاب الإقاناعي نجد "العمري" قد أولى عناية كبيرة للبلاغة في بعديها التخييلي والتداولي لينطلق في جملة من التساؤلات التي كان لها الأثر البالغ في التأسيس لمشروعه البلاغي وها نحن نعود ما هي البلاغة؟ أو على الأقل: أين توجد البلاغة؟هل هناك بلاغة واحدة أم بلاغات متعددة؟ وإذا كانت هناك بلاغات متعددة، هل هناك:مشروعية لقيام بلاغة عامة تنسق هذه البلاغات الخاصة وتتحدث باسمها في نادي العلوم المحيطة بها؟[2].

– إنّ السؤال عن ماهية البلاغة، يتكرر مع مشروع ، ومع كلّ بلاغة ، لأنّ مكوّنات الدّرس البلاغي وموجهاته واتجاهاته تفرض مفهوما متغيرا من مشروع لأخر، لأنّ في المفهوم كثيرا ما تحدّد المنطلقات، والخلفيات النظرية، والمقاصد ولهذا يتحتم علينا التساؤل: ما مفهوم البلاغة عند العمري؟ وما هي الخلفيات التّي تقف وراء تعامله مع التراث البلاغي؟ وما المقاصد التّي يريد تحقيقها؟

وإذا تتبعنا رحلة العمري بلاغيا سنجد البداية مع عملة الموسوم بـ: "في بلاغة الخطاب الإقناعي" الذي كان ثمرة ونتيجة للاحتكاك بالوافد الغربي وعمل العمري في ترجمة بنية اللغة الشعرية مع محمد الوالي[3] والمطالع لكتابة هذا يجد رؤية جديدة لفّن الخطابة العربيّة وتجديدا للرؤية النظرية البلاغية المؤطرة لها، وكذلك نوعا جديدا للتحليل وآلياته.

ثم توجه اهتمام العمري نحو الخطاب الشعري، الذي بدأ معه في مشروع إعادة صياغة البلاغة العربيّة انطلاقا من تصور لساني في كتبه:

---

[1]– محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية –الخطابة في القرن الأول أنموذجا– إفريقيا الشرق، المغرب، ط 1، 1986، ص: 7.

[2]– محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ، ص: 05.

[3]– موقع الأستاذ محمد العمري http:// www.medelomeri.perso.sfr.fr/emtree.htm.net.

- تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية [1]
- اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم.
- الموازانات الصوتية في الرؤية البلاغية[2].

وكانت هناك أعمال تسير بالموازاة مع الاهتمام البلاغي كتحقيق التراث والترجمة والإشراف على الدوريات المختصة في تحليل الخطاب، ثمّ ظهر العمل الذي بين من خلاله العمري نظرته للبلاغة العربيّة.

البلاغة الجديدة: تعرف البلاغة الجديدة بأنها نظرية الحجاج التّي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التّي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ثمّ يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور.

- هذا التعريف يبين إلى أي مدى تختلف عنها في التقاليد الغربية طبعا[3]. وربما تنسحب على مسار البلاغة العربيّة بوجه من الوجوه.

إن البلاغة الجديدة تواصل بلاغة أرسطو من حيث توجهها إلى جميع أنواع السامعين.

إنها تحتضن ما يسميه القدامى "فن الجدل" (طريقة النقاش والحوار عبر الأسئلة والأجوبة، المهتمة خاصة بالمسائل الظنية) وهو ما حلله أرسطو في كتابه (الطوبيقا) الذي يعرض التفكير الذّي وسّمه أرسطو بالجدلي والذي يميزه عن التفكير التحليلي للمنطق الصوري، نظرية الحجاج هذه سميت بلاغة جديدة لأن أرسطو ورغم الصلة التّي يعقدها بين البلاغة والجدل، وقد طور الأولى فقط على أساس المستمعين // المخاطبين.

---

[1]- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية، الدار العالمية، الدار البيضاء، المغرب، 1990م، ص: 87.

[2]- محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، ص: 92.

[3]- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 87. نقلا عن:

CHARELAS PEIECE : the whetarce.art, in the New ancy clopaedive Britannica, Vol 15, P 803-805.

وجدنا أغلب التّيارات النقدية الحديثة[1]. متجهة إلى إمكانية إعادة قراءة البلاغة على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة، ولاشك أنّ هذا التوجه استند على الدراسات الغربية، التّي انطلقت منذ الستينات تؤرخ للبلاغة العربيّة ، فتوالت الأصوات تدعو إلى عودة البلاغة بصفتها الإمبراطورية التّي هيمنت على جميع حقول المعرفة الأدبيّة والنقدية في العصور السابقة، وحينما نتصفح معاجم البلاغة والأسلوبية الغربية نجد كلمة " ريطورية "تدل على معنيين أساسيين[2]، ففي معجم الألفاظ الأسلوبية لجون مازاليغا "jeam mazalier "وجورج موليني" j. molinie" نجد أنّها مبحث قديم يهتم بفن الإقناع في مكوناته وتقنياته لاستنباط الحجج ومعالجتها، ومن هذه الزاوية نجد البلاغة في ارتباط بالتداولية مع ديكرو، وأنها مجموعة من صور التعبير منفصلة عن نوع الخطاب الذي استعملت فيه، وتحتوي البلاغة في التقليد العربي معنيين أساسيين هما:

أولهما: يهتم بالمعني الحجاجي الإقناعي الذي يصب في التداولية الحديثة.

ثانيها: يهتم بالمعنى التعبيري الشعري الذي يصب في الأسلوبية.

هذه الثنائية تعزي باسترجاع ثنائية البديع والبيان في نشأة البلاغة العربيّة، وذلك باعتبار أنّ البلاغة منذ أنّ قال القائل قولته ومن قبلها وبعدها والدرس البلاغي بالحركة والتجديد.

فيرى "أوليفي روبول" D.rebul" في المفارقات أنّ البلاغة القديمة أستدعيت لعلاج قضايا حديثة لا تعود إلى مجال الخطاب واللغة بل تعدته إلى علم النفس والصورة . وعموما فالبلاغة عادت إلى مجال اللغة عبر مباحث غير لسانية[3]. والتّي تحدث عنها "هنريس بليث" h.belithe والتّي كانت سببا في تطورها إلى البحث التداولي ونظريات التواصل والنقد الإديولوجي، دون أنّ نتغاضى على جهود الباحثين الألمان الذّين اعتنوا بالبلاغة أمثال: "دكهورن" decrouons في علم جمال بلاغي قائم على التأثير، و"كوريتس" (1956) في تحليله التاريخي للمعاني المشتركة ورواد هذه البلاغة الجديدة

[1]– محمد العمري، كتاب البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1998، ص: 35.

[2]– موسوعة علوم اللغة لتود وروف وديكور encgilapéque des scinos du déctionnaire oangage.

[3]– ينظر: بوعافية محمد عبد الرزاق: البلاغة العربية والبلاغات الجديدة، ص: 94. نقلا عن 32-33 /ol : rierebu.

في فرنسا هم "رولان بارث" r.barthe و"جيرارجنيت" j.jeunette و"كيدي فوركا" k. voureka و"بيرلمان" ch. Perlman و"تودوروف" todroraff و"تولين" tolmin و"ديكرو" o.ducrant. فضلا عن ذلك ينبغي الإشارة إلى تعارض البلاغة الجديدة مع تقليد البلاغة الحديثة، وهي بلاغة أدبية من الأفضل أنّ تدعى "أسلوبية".

إنها تختزل البلاغة في دراسة فالبلاغة الجديدة على عكس البلاغة الحديثة، غير معنية بشكل الخطاب من أجل الزخرف أو القيم الجمالية، بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع، وخاصة وسيلة للإبداع أي (الحضور) (أي جلب أي أشياء إلى ذهن السامع ليست حاضرة في ذلك الحين) وذلك عبر تقنيات التمثل[1].

هؤلاء جميعا استطاعوا أن يجعلوا من البلاغة مبحثا علميا عصريا[2]. وهذا ونجد أنّ معظمهم يقر بوراثة البلاغة القديمة وتمثيلها "فتدوروف" يرى أنّ الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة. ومن جهة أخرى يصرح "برلمان" ومن معه إلى الوجهة الصحيحة لحجاج ناجح متمثلة في بلاغة أرسطو إلى جانب "فان ديك" الذي يعتبر رائد العلم النص، هذا الأخير اعتبره ممثلا عصر للبلاغة.

فكانت نهضة البلاغة حديثا منصبة على استرجاع البعد المفقود بين المجال الأدبي الذي سيطر عليه التخييل، والمجال الفلسفي المنطقي من جهة واللساني التداولي من جهة ثانية[3] فلا عجب من كل هذا أنه ظهرت بالغرب في النصف الثاني من القرن العشرين أصوات تحذر من عواقب اختزال الامبراطورية، في هذا الصدد نجد مقال كان له صدد على مستوى الدرس البلاغي الحديث لصاحبه "جبرار جنيت" المعلون بالبلاغة المختزلة.

[1]- حمادي صمود وغيره، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، كلية الآداب، منوبة، 1998، المقدمة، ص ص: 41-48.

[2]- بليث هنريش، البلاغة والأسلوبية، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، ط 1، 1999، ص: 16.

[3]- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 6.

البلاغة الجديدة والحجاج:

ليس الحجاج علما أو فنا يوازي البلاغة، بل هو ترسانة من الأساليب والأدوات يتم افتراضها من البلاغة (ومن غيرها كالمنطق واللغة العادية...).

ولذلك فمن اليسير الحديث عن اندماج الحجاج من البلاغة في الكثير من الأساليب، والمتوقع فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أنّ يقوي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التّي تظهر المعنى بطريقة أجل وأوقع في النفس.

ولعله من الطريف لكان الإشارة إلى أنّ الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة استدلالية (كما هو مطلوب في الحجاج) ومنه يتبين أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية تحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية ولإفادة أبعاد تداولية.

(إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله وهو يؤدي دوره في تغير زاوية النظر يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك، فإذا ينج عن الخطابة استمالة المخاطب، فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره (زخفة أي باعتباره محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع) وأهتم نقله حدثت في اليونان حيث ألف أرسطو aristote كتابة الخطابة الذي جمع فيه كل ما يتعلق بالحجاج الخطابي[1]. نحو صفات خطيب والمخاطب، لقد أدرك أرسطو دور وتأثير الخطابة في حياة الناس، ولذلك عد كتابة الباعث الرئيسي لثورة البلاغة الجديدة التّي قادها بيرلمان وزملائه بقول:"محمد العمري يحدد بيرلمان ظروف التقائه مع البلاغة الأرسطية في مقدمة كتابه إمبراطورية البلاغة[2]. أما في العصر الحديث فقد كانت الانطلاقة من التداخل المعرفي، الذي وسم هذا العصر بميسميه ونتج عنه ظهور تحديات جديدة في شتى الميادين الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والفكرية، إذا انتشرت الآراء المختلفة، حيث أصبح كل حزب أوداع يسعى إلى نشر دعوته ورأيه من

[1]- أرسطو طاليس، الخطابة، تحقيق عبد الرحمان بدوي، وكالة مطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت، 1979، ص: ج-هـ.

[2]- محمد العمري، نظرية الأدب في ق 20، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2005، ص: 132.

خلال الخطاب أو الكلمة التّي تعد وسيلة التأثير والإقناع الأول، فهي تأسر العقول والقلوب ويمكن أنّ نلحظ ذلك ضمن مجالات متعددة مثلا في القضاء والسياسة والتجارة ... التّي يطمح كل طرف فيها إلى محاججة الطرف الأخر بغية إقناعه.

حقا لقد صار الإقناع مطلب كل فكرة عملية معينة سواءً كانت هذه العملية فكرة أم مقالة أم حركة[1].

ومرد ذلك إلى تطور العلمي الذي أسهم في تغير الحياة البشرية، خاصة مع ظهور نظام الصورة وما يحمله من تأثير في جمهور العام أو الخاص.

ومن هنا أصبحت البلاغة الحجاجية حظرة في المجتمعات السميائية وكذا الديمقراطية كيف لا؟ وهي القائمة على أسس متينة لبناء المعرفة واستيعاب عمليات الإقناع والتأثير.

ثانيا: الآراء التّي حملها الباحث

1-1- الآراء الأرسطية:

تعد جل الدراسات الحديثة التّي قامت حول نظرية الحجاج دراسات تعتمد بشكل مباشر أو غير مباشر على الأفكار الأرسطية في مجال فن الخطابة والشعر، فلا غنى عن لأي باحث عنها، فهي بمثابة مواد خامة تعينه على مشاق البحث والتنظير والتعقيد، فالبحث في بلاغة الحجاج يتطلب من الباحث علما ومعرفة بكل ما تم تناوله سلفا وإن في أحقاب زمنية متباعدة، وذلك ما دأب عليه "العمري" حين استلهم الآراء الأرسطية في نظرته للدور البارز الذي يلعبه الإقناع في الخطابة وفي ذلك يقول:

"لقد وقفت عند هذا الإشكال منذ ثلاثة عقود عندما اخترت لمحاضراتي في جامعة فاس عنوان "بلاغة الخطاب الإقناعي"مؤقتا،لأنه مجرد وصف لا يستوفي متطلبات الإصلاح العلمي الإجرائي الذي يسمح بالاشتياق والتشعيب.ولذلك عدت إلى الموضوع فاقترحت كلمة خطاتية مقابلا "لفن الخطابة"

[1]- محمد السالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطويره في البلاغة المعاصرة، (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 28، ع يناير، مارس 2000، ص: 57.

قثياسا على الشعرية التي جلت محل "فن الشعر" دون حرج. فحين تكون الإحالة على أرسطو فلا دقة في استعمال أي من الكلمتين: بلاغة وخطابة، فالذي عند أرسطو هو "الخطابية" و"الشعرية" أو علم الخطابة ونقد الشعر"[1].

حيث يقر العمري بأن أرسطو هو أول من فصل بين الخطابة والشعر ولذلك عمد إلى إفراد كل فن بكتاب مستقل، وفي ذلك يقول: "لقد تنبه أرسطو لذلك ففصل الخطابة عن الشعر، وألف في كل منهما كتابا مستقلا، وتبعه في ذلك الفلاسفة المسلمون فحرصوا على التفريق بين طبيعة الشعر الذي يهدف إلى التخييل وطبيعة الخطابة الهادفة إلى التصديق حسب الأحوال والاحتمال"[2].

ثم ما يلبث "العمري" مد جسور الثناء على كتاب الخطابة لأرسطو الذي يرى فيه مرجعية يستقي منها الباحثون أهم الأسس التّي يقوم عليها الخطاب كوسيلة لتحقيق الإقناع الذي بات أولوية من الأولويات التّي شاعت في العصر الحديث.

"وكان لكتاب الخطابة تأثير واسع في المجالين:الخطابة و الشعر، ثمّ رأيت الدارسين الغربيين المحدثين الذّين لهم باع في هذا المجال يستنيرون بآراء أرسطو، ويعتبرونها حديثة ومناسبة للمجتمعات الحالية.فزاد اقتناعي بإمكان تأطير اجتهادات البلاغيين العرب بالإطار العام للنظرية الأرسطية، وإغناء ذلك باجتهادات وإضافات البلاغيين ودارسي الخطاب الإقناعي من غير العرب في القديم والحديث في حدود ما يسمح به حجم هذا العمل والغرض الذي رصد له أولا"[3].

وإلى جانب اعتماد "العمري"على الرصيد الأرسطي في آليات الخطاب الإقناعي، إلّا أنّ هذا لم يمنعه من الاطلاع على أهم الدراسات الحديثة التّي هي بدورها نهلت من البلاغة الأرسطية التّي كان لها اثر واضح فيها، ومن أهم تلك الدراسات ما قام به "برلمان"و زميله" تيتيكاه"من خلال عرضهما لماهية الحجاج في مصنفهما البلاغة الجديدة،مستلهمين في ذلك الرصيد الأرسطي الذي صاغاه في أعمالهما برؤية جديدة،وهذا ما عمد "العمري"إلى الاستزادة من ذلك كله كون "برلمان"

[1]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 28.

[2]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 19.

[3]- المرجع نفسه، ص: 07.

و "تيتيكاه" قد اعتمدا بشكل كبير على آراء "أرسطو" وأي استلهام لأرائهما هو استلهام للرأي الأرسطي، وفي مطلع ذلك يقول:العمري"ويمكن الرجوع إلى كتاب الخطابة سواء في بنائه الذي يتوجه قسم منه للخطيب وقسم للمستمع وقسم ثالث للخطاب نفسه، أو إلى حديثه في المقدمة عن هذه الأجزاء وعلاقتها ببناء الخطابة وأجناسها.

كما يرجع إلى الأعمال التّي استلهمت هذه البلاغة في العصر الحديث واقتصر منها على أعمال برلمان خاصة في كتابه traite de l'augmentation الذي ألف باشتراك مع تيتيكاه الذي حاولنا الاستفادة من بعض ما ورد في كتابنا "في بلاغة الخطاب الإقناعي"[1].

وفي هذا إشارة إلى الشأن العظيم للخطابة في ميزان التأليف قديما وحديثا، ذلك لما يحويه من التقسيمات التّي تعنى بالخطيب كونه الإطار الذي يسمح بالتفاعل الذي يقع بين طرفي العملية التخاطبية (المخاطب،المخاطب).

ويولد هذا التفاعل توجه الخطابة إلى تحقيق بعدها المقامي المتعلق بالمجال السيكولوجي والاجتماعي، على حد قول "العمري": "وهذا هو الذي اهتم به أرسطو كثيرا في الخطابة وليس له نظير في البلاغة، فيما أعلم، غير شذرات، وقد حاولنا بناء المتاح منه في الفصل الرابع من القسم الأول من كتابنا: البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، في قراءتنا لمشروع الجاحظ في البيان والتبيين"[2].

ليتضح لنا جليا البعد الأرسطي الذي استلهمه الباحث محمد "العمري" في دراسته لبلاغة الحجاج.

1-2- الآراء التراثية العربيّة:

اعتمد الباحث "محمد العمري" على الآراء الأرسطية كمخزون تراثي يعد مرجعا وعمدة للدارسين في تنقيبهم عن بلاغة الحجاج، إلّا أنّ هذا لا يعني البتة انقطاعه عن التراث البلاغي العربي الزاخر بشتى المفاهيم والرؤى التّي تعج بها المؤلفات والمصنفات الكبرى على تباين مشار بها

[1]- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية في الشعر، ص: 36.

[2]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 50.

وتوجهاتها، فالعمري يشيد بعظيم شأن التراث البلاغي العربي الذي يمثل نافذة مطلة تحتضن بين جنباتها الكثير من الدلالات والمصطلحات التّي لا تزال قيد الدراسة وبحاجة إلى تمحيص وتدقيق من بعض الباحثين، ولن يتأتى لهم ذلك إلّا بالعودة إلى مظانها الأولى، في إشارة منه إلى مجالسة التراث العربي الأصيل لا بنظرة سطحية عابرة، بل بنظرة عميقة تضمن هويته ومن ثمة الوقوف على أهم القضايا التّي تشغل ذهن الباحثين والدارسين في هذا العصر لقد أدى تطور الدراسات الحديثة في مسارين لساني نصي وتداولي حجاجي إلى التنبيه إلى غنى التراث البلاغي العربي بشكل عميت عنه الأبصار طوال عقود، وهذا طبعا مرتبط بكون الحضارة العربيّة مرت بمرحلة حيوية شملت شتى مناحي الخطاب في إطار نهضة علمية شاملة، ولم يكن من الممكن إعادة إدراك ذلك الفن إلّا بالاحتكاك بحضارة مماثلة في الحيوية والشمولية، حضارة استثمرت التراث البلاغي الفلسفي القديم، ومنه العربي بشكل فعال، فقد كان علينا إذن أنّ نعود إلى هذا التراث لنسائله في غير استكراه وبشكل عفوي عن تواصله مع أسئلة هذا العصر[1].

ينقلنا "العمري" بهذا الكلام إلى مفهوم هو في غاية الدقة والشمولية، مفاده أن مساءلة التراث البلاغي العربي لا تكمن في مساءلة صرف فحسب، بل مساءلة تبنى على القراءة الواعية لهذا التراث البلاغي ومن فضائل هذه القراءة مد جسور التواصل بين الماضي والحاضر، ومن ثمة بتكوين رؤى منهجية- هي من صميم علم البلاغة- قادرة على التجاوب مع الأسئلة التّي تقتضيها متطلبات العصر، ولا سبيل إلى ذلك إلّا بعمق دراية وحسن قراءة على حد قوله: أو هنا يأتي مفهوم القراءة باعتبارها تلقيا ديناميا يقيم حوار بين الماضي والحاضر، فالحاضر يضيء الماضي ويكشف جوانب منه كانت جنينية وفي طور التخلق مشوشة بشوائب وعناصر خارجية، والماضي يفسر مسار الظواهر الحديثة في اندفاعها وانحسارها، ويرفع عنها القدسية، كما يرفع الحاضر أسطورية الماضي[2].

[1]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص ص: 245-246.

[2]- المرجع نفسه، ص: 245.

إن هذا التأرجح الحاصل في الأسئلة وانتقالها بين الماضي والحاضر كفيل ببناء المعرفة التّي تغنى بالأدب عامة وبالبلاغة خاصة، التّي من شأنها أنّ تنحو بالأسئلة منحى آخر، لتغير مسارها من أسئلة يراد بها معرفة عامة إلى أسئلة يراد بها وجهة باغية بعينها، أما إذا أردنا النظر إلى المسألة من زاوية المعرفة استخلاصا وبثا فأحسن مثال يوضح الانتقال من السؤال المعرفي إلى السؤال البلاغي هو كتاب البيان والتبين للجاحظ، فبالنظر في خطة البيان والتبين للجاحظ في حديثه كل أنواع الدلالة على المعاني، وبالنظر إلى ما فهمه قراؤه مثل: ابن وهب كما تقدم، يسوغ لنا القول بأن الجاحظ وصل إلى بلاغة الخطاب الإقناعي من خلال البحث في المعرفة بصفة عامة: كيف نفهم وكيف نفهم؟ بلاغة قوامها الاعتدال في استعمال الصور البلاغية حسب الأقوال والمقامات، مع توظيف كل الإمكانيات المسعفة واعتماد دخيرة معرفية شديدة التنوع من النصوص الأدبيّة والدينية والأخبار والأمثال والحكم "ثقافة الخطيب"[1].

فالعمري بكلامه هذا يكون قد أثار انتباهنا غلى أنّ الجاحظ يعد بحق من الذّين أسهموا في إرساء قواعد يقوم عليها البيان، فمتى كان الخطيب واعيا بما يقول، وثبت أنّ حقق قوله فهما لدى المتلقي فثمة البيان في ذلك الموضع، لذلك حرص "الجاحظ" على أنّ يكون الإقناع آلية من الآليات التّي وجب حضورها ليكون إلزاميا في أي خطاب كان، ولعل ذلك ما دفع "العمري"، وهو يستلهم آراء "الجاحظ" إلى أنّ جعل أحد كتبه موجهة إلى دراسة بلاغة الخطاب الإقناعي، إيمانا منه بضرورة اللجوء إلى التراث العربي لإزالة الغبار الذي طال عدة مفاهيم بلاغية على رأسها الإقناع، الذي حمل همه "الجاحظ" على حد تعبيره، ولعل هذا ما جعل الجاحظ، وهو يحمل هم الإقناع حسب الأحوال، يرد البيان، كما سبق إلى الفهم، ثمّ يقايضه بالبلاغة، وكأنه يتحدث عن شيء واحد ثمّ برهن البلاغة بمراعاة الأحوال مقايضا إياها بالخطابة، فالبيان هو الفهم من جهة وهو إظهار الحجة من جهة ثانية[2].

[1]– محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 24.

[2]– محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 38.

وإلى جانب اعتماد "العمري" على التراث كمواد خامة تعين على البحث والدراسة، إلّا أنه يرفض تماما الانصهار والذوبان الكلي في هذا التراث، فله ماله، وعليه ما عليه، وهو بذلك ينقد بشدة أولئك الذّين تمادوا في ولائهم الشديد للتراث، "كما هو الشأن عند الاتجاه التقليدي الذي يداري عجزه بتقديس التراث وجعل إعادة إنتاج القدماء غاية في ذاتها علاقتنا بالماضي هي علاقة نقدية حوارية تأبى التوقع في الماضي كما تأبى رفضه جملة".[1]

كما يضيف "العمري" قائلا: "إننا نجد أنفسنا بين جاذبيتين جاذبية التراث وجاذبية المعاصرة: بين البلاغة القديمة والشعرية الحديثة، وقد قررنا خوض هذه المغامرة".[2]

ثالثا: أبعاد المشروع

1-1- دراسة الخطاب الشعري:

ينطلق الباحث محمد "العمري" في دراسته للخطاب الشعري من فكرة مفادها أنّ البلاغة ظلت لفترة من الزمن شديدة الالتصاق بالخطاب النثري الذي أحكم هيمنته عليها في مقابل إهمال واستبعاد الخطاب الشعري، الذي طاله الفتور والإقصاء وغيب عن الساحة البلاغية، لتكون البلاغة بذلك منطوية تحت لواء موال للنثر على حساب الشعر، وفي ذلك يقول العمري: وما دام النص القرآني ليس شعرا، ولا ينبغي له أنّ يكون، فمن المحتمل أنّ تبنى له بلاغة غير شعرية، أنّها بلاغة ملائمة المعاني لمقتضى الحال والمقام، بلاغة ترضي النص الخطابي النثري أكثر مما تنصف النص الشعري، سنقدم في الحديث عنها الحجج القاطعة على معاداة هذه النظرية للنص الشعري، برغم قدرة أصحابها على إلباسها لباس البحث البلاغي، وتعميق جانب من جوانب هذا البحث وهو جانب المعنى، والوصول فيه إلى نتائج باهرة ما زالت تشهد بجدتها وحداثتها، ونقصد بقولنا هذا التفريق بين الخطة العامة والإستراتيجية الشاملة التّي تلغي جانبا مهما من البلاغة، وبين تعميق البحث في جانب من جوانب هذه البلاغة ولو في إطار مناهض للشعر [...] ومن نرى أنّ المصدرين الأساسيين

[1]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 247.

[2]- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية، ص: 53.

لمفهومنا البلاغة هما مصدران يهتمان إما بالنص القراني (وليس شعرا على كل حال)، أو بالنص النثري الشفوي وشروط تحققه شفويا، سواء تعلقت بجهاز نطق الخطيب أو هيأته أو بالألفاظ وخفتها على اللسان والسمع، فالتّي ارات معا يغيبان الشعر في إستراتيجيتهما العامة، ويغيبان مكون من مكوناته الأساسية المميزة له في ممارستهما[1].

وهذا الكلام يسوقنا لتساءل حول طبيعة هذا المكون المغيب في الشعر.

عن أي مكون يتحدث العمري؟ وأين تكمن فعالية الشعر؟.

إن المكون المغيب في الشعر- حسب رأينا- هو تلكم الوظيفة الشعرية التّي تقبع كامنة وراء ستار الخطاب الشعري تنتظر من يأخذ بها إلى طريق الحجاج وتحصيل الإقناع، "إن النص الشعري ليس لعبا بالألفاظ وليس نقل تجربة فردية فحسب، إنه يهدف كذلك إلى الحث والتحريض والإقناع والحجاج، وهو يسعى إلى تغيير أفكار المتلقي ومعتقداته وإلى دفعه إلى تغيير وضعيته وسلوكه ومواقفه، مما يعني أنّ الصفة البرهانية الإقناعية خاصية تحضر في المثل والحكمة والشعر على حد سواء بل أنّ النظرية الحجاجية تذهب إلى أبعد من ذلك، فتعد أنّ أي نص شعري أو أدبي تكون له، إلى جانب الوظيفة الشعرية وظائف أخرى، مثل الوظيفة الانفعالية والوظيفة التوجيهية الإقناعية، والتّي يعبر عنها بالتعجب والندبة والاستغاثة والأمر والنداء، أو بأسماء الأفعال والروابط التداولية الحجاجية"[2].

يفهم من هذا كله أنّ الخطاب الشعري خطاب يراد به تحصيل المعنى من قبل المتلقي، وقد لا يكون هذا المعنى واحدا، بل يتعدد تبعا لتعدد القراءات ومن ثمة لا يمكننا الجزم بقيام دلالة واحدة للنص الشعري، وذلك لتدخل عنصر التأويل الذي يقحم ذواتنا ليفرض علينا متوالية من الدلالات "إن إحدى أهم خصائص النص الشعري في نظر الأسلوبية الحديثة تتجلى في كونه نصا معلقا على كمرجعيته منفتحا في دلاليته: يحيل على نفسه، ويتيح إمكانيات متعددة في القراءة"[3].

[1]- محمد العمري، الموازنات الصوتية، ص ص: 50- 51.

[2]- مجموعة من المؤلفين، الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ اسماعيلي علوي، ابن النديم للنشر، الجزائر، ط 1، ج1، 2013، ص: 293.

[3]- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية، 1990، ص: 55.

إن هذا الانفتاح للواقع في النص الشعري والذي يسمح بتعدد القراءات يحيلنا إلى جملة من المفاهيم التّي ترتبط ارتباطا وثيقا بالخطاب الشعري ومدى خصوصيته، وطبيعة هذه المفاهيم التّي تلعب دورا كبيرا ومهما في إمكانية قيام بلاغة شعرية، وهذا ما أشار إليه "صلاح فضل" في قوله: "ولكن لا ينبغي أنّ نفضل أهمية بعض المصطلحات الشعرية التّي تلعب دورا أساسيا في القضايا البلاغية من منظور شعري".

ويكمن تقديرنا في أبرز المصطلحات وهو مصطلح "الانحراف" الذي تعددت صيغته في اللغة العربيّة، فمرة يبحث الرفاق له عن معادل بلاغي قديم وهو "العدول"، فيمثلون حدته، ومرة أخرى يلجؤون إلى كلمة ذات إيحاء مكاني واضح هي "الانزياح" تفاديا للإيحاء الأخلاقي المقصود والمستشمر في كلمة انحراف[1].

وهذا ما نوه له العمري في مطلع حديثه عن الانزياح الذي لا تتوفر فيه صفة الشعرية إلّا إذا كان متضمنا لعنصر التأويل الذي يتيح رؤية النص الشعري من عدة زوايا."إن الانزياح عندنا ليس مطلبا في ذاته، بل هو سبيل لانفتاح النص وتعدديته، وهذا لا يعني أنّ الانزياح مرادف للغموض، فالغموض ليس إلّا عرضا، وهو نسبي ونعني بالعرضية كونه مظهرا من مظاهر الانزياح وليس مقوما شعريا ذاته"[2].

ويمكن أنّ نمثل لذلك بالمخطط الآتي:

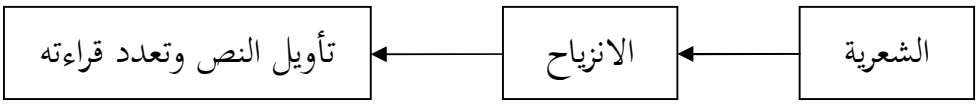

وما دام النص الشعري يخضع للتعدد في القراءات، فإن هذا من شأنه أنّ يمد في أجل الخطاب الشعري الذي تعد الوظيفة التواصلية سمة بارزة فيه، "ولا بد من حضور الوظيفة التواصلية وإلا فقد

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1992م، ص ص: 56-57.

[2]- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية، ص: 43.

الشعر انتمائه إلى اللغة، وهذا التصور يمكن أنّ يعبر عنه بمفاهيم الهيمنة عند ياكبسون، فالخطاب الشعري خطاب لغوي تواصلي تهيمن فيه الوظيفة الشعرية دون أنّ تغيب الوظيفة التواصلية"[1].

ليكون التواصل بذلك مطلبا ملحا في إمكانية قيام خطاب شعري.

1-2- دراسة الخطابة "الخطاب الإقناعي" وبلاغته:

يكتسب الخطاب الإقناعي اليوم أهمية كبيرة في المجتمعات العربيّة والغربية على حد سواء، إذ صار يمثل أولوية من الأولويات التّي تستحق الدراسة والتناول في عصر شهد انفتاحا على شتى الميادين والتخصصات، وفي الحاجة إلى الخطاب الإقناعي يقول العمري: "ثم أنّ دراسة الخطاب الإقناعي قد صارت من الأولويات في العصر الحديث فاستعانت لذلك بالأبحاث الاجتماعية والنفسية"[2].

ومعلوم بالضرورة أنّ الخطابة- كانت ولا تزال- هي من تمد أرض البلاغة بما تفتقر إليه من آليات الإقناع والتأثير، فكثيرا ما نجنح بالبلاغة من بعدها الشعري إلى بعدها الخطابي، وذلك مراعاة للمقامات والأحوال وما تفرضه الظروف الراهنة، فمثلا ما تعيشه أمريكا من أوضاع سياسية جعلها تبار إلى تعزيز بلاغة الخطاب في جامعاتها، وإفراد شعبة خاصة بفنيات التواصل والإقناع على حد تعبير "العمري": "ونظرا للدور الذي تلعبه بلاغة الخطابة في التأثير في الرأي العام الوطني والدولي وتوجيهه بادرت الولايات المتحدة الأمريكية منذ عقود إلى إعادة الاعتبار إلى هذه البلاغة بتحويلها من مادة ملحقة بتعليم الانجليزية إلى مادة مستقلة في شعبة خاصة بفن التواصل وخطاب الإقناع، ومنذ سنوات كان يعمل فيها، حسب بيرلمان، أكثر من خمسة ألاف أستاذ، وألفوا في هذه المادة ألاف الكتب، كما أنشأت مجلة بعنوان "فلسفة وبلاغة"، يشرف عليها فلاسفة وبلاغيون"[3].

وبذلك يشيد "محمد العمري" بعظيم شأن الخطاب الإقناعي وجزيل نفعه، ولعل ذلك هو ما دفعه إلى تأليف كتاب يعنى به، فكان أنّ سماه تحت عنوان "في بلاغة الخطاب الإقناعي"، إيمانا منه

[1]- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية، ص: 37.

[2]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 06.

[3]- المرجع نفسه، ص: 10.

بضرورة تناول هذا النوع من الدراسة التّي لا تزال شحيحة نادرة في مكتباتنا العربيّة، وإن وجدت فمظانها تعزى إلى لغات أجنبية بجد الطالب الجامعي عسرا في ترجمتها. "ما زال الطالب الجامعي ودارس الخطاب الإقناعي يقلب بصره في رفوف المكتبة العربيّة فلا يجد شيئا يغني في هذا الموضوع فيولي وجهته نحو المكتبة الفرنسية والانجليزية، لا استثني من ذلك إلّا الكتاب الجامعي الذي أصدره أخيرا "1999م"، زملاؤنا في فريق البحث في البلاغة والحجاج بجامعة منوية بتونس، تحت عنوان: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم[1].

كما يشير العمري إلى ضرورة التفريق بين النص الشعري والنص الخطابي الإقناعي أثناء الدراسة، فلكل خطاب وله طبيعة موضوع تميزه عن أي خطاب آخر "اعتاد الدارسون العرب المحدثون وتبعهم في ذلك المدرسون في الثانويات والجامعات، معاملة النص الخطابي الإقناعي نفس معاملتهم للنص الشعري أو أي نص إنشائي آخر، وهذا يجافي الروح المنهجية التّي تقتضي أخذ طبيعة الموضوع بعين الاعتبار عند تحديد منهج تناوله"[2].

وبذلك تتعدد الخطابات تبعا لتعدد النصوص، ونج أنفسنا أمام بلاغات، وكل بلاغة تنشد خطابا مخصوصا بعينه.

وبفضل الجهود المبذولة في مجال كشف النسق البلاغي وفاعليته في مجالات الخطاب المتعددة، وبفضل الدقة التّي يتميز بها التناول البلاغي للخطاب، نلاحظ أنّ البلاغة صارت اليوم منطقة مشتركة بين العلوم، تصدر مفاهيما إلى المجالات الأخرى، فأصبح لكل خطاب بلاغة، ذلك أنّ لا علم يستطيع أنّ يستغني عن البلاغة باعتبارها أداة الفهم والإفهام وأداة التأثير والاستمالة[3].

نستخلص من كلام العمري أنّ البلاغة لم تعد مقصورة على خطاب واحد فالخطاب الشعري يفرز لنا بلاغة شعرية، كما أنّ الخطاب الإقناعي هو الآخر ينتج بلاغة إقناعية، هاته البلاغة التّي تتسم ببعدين: بعد مقامي منطقي استثمره "أرسطو" في خطابته، وبعد تداولي سياقي يعني كثيرا

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 05.

[2]- المرجع نفسه، ص: 05.

[3]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 17.

باللفظ وما يحبل إليه من المقاصد، وعن طبيعة هذين البعدين يقول العمري: "البعد المقامي المنطقي المتعلق بالجانب السيكولوجي والاجتماعي، وهذا هو الذي اهتم به أرسطو كثيرا في الخطابة، وليس له نظير في البلاغة العربيّة.

ولذلك دخل العمري عالم الدراسات البلاغية الجديدة والنقدية من باب الإقناع ودراسة آليات الحجاج، وقد بدأنا بهذا الاهتمام متجاوزين بذلك فترة تأثره بمندور، أو دراسته له لأنه لا يدخل ضمن مشروعه البلاغي، لأن العمري قدم موضوعا للتخرج بعنوان: مندور من التأثيرية إلى الواقعية الاشتراكية"، وقد أفاد العمري من موضوعه هذا ضرورة المعرفة الشاملة المحبطة بالمجال الأدبي والنقدي وكذا مناهج الدراسة الأدبية، لكن فيما بعد توسعت آفاق العمري بين الترجمة والكتابة والتدريس إلى أنّ وصل إلى البحث في البلاغة العربيّة، نتيجة الاحتكاك بما هو غربي واطلاعه على التراث العربي، إذ يقول: "وكان من ثمرات هذا الاحتكاك كتاب في بلاغة الخطاب الإقناعي، الذي أردت أنّ أنبه فيه إلى البعد الإقناعي للبلاغة العربي، هذا البعد كان حاضرا عند الجاحظ على وجه الخصوص، ثمّ نسي مع هيمنة صياغة السكاكي للبلاغة العربيّة، وقد أعجبت كثيرا في المرحلة بعمل بيرلمان perelman، وتيتيكا Tyteca لعمقه وبساطته"[1].

ثم يبين ابن العمري بأنه في هذه المرحلة اهتم بنص الخطابة العربيّة في كتابه: بلاغة الخطاب الإقناعي، هذا العمل الذي بدأه ببيان أهمية الجانب الإقناعي في البلاغة العربيّة، ومسألة إهماله من طرف الباغيين المتأخرين، خاصة علماء الإعجاز، وإن كان هذا الأمر يحتاج إلى مناقشة لأننا نجد الرماني والبقلاني يشيد كل منهما إلى قضية الاحتجاج وصحة البرهان مع حسن البيان، بل نجد الجاحظ يشير لهذا الأمر في حجج النبوة وإثباتها، والعمري في عمله هذا يتخذ من الرؤية الأرسطية إطار يتناول من خلال قضية الإقناع في البلاغة العربيّة، ويقول في ذلك: ثمّ رأيت الدارسين الغربيين

[1]- محمد العمري، المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، 11 مارس 2000، www.medlamri.net.

المحدثين الذّين لهم باع في هذا المجال يشيرون بآراء أرسطو، بل ويعتبرونها حديثة ومناسبة للمجتمعات الحالية، فزاد إقناعي بإمكان تأطير اجتهادات البلاغيين العرب بالإطار العام للنظرية الأرسطية[1].

ونجد العمري، في اعتماده على ما هو أرسطي في قراءة التراث البلاغي، يعتمد على القراءة الغربية لأرسطو، وبالضبط "شاييم بيريلمان"، و "تيتيكا"، في كتابيهما: مصنف في الحجاج، ويعتبر العمري منذ أوائل المعتمدين على هذا المرجع الذي أشاع تسمية البلاغة الجديدة على الحجاج، والعمري أصدر دراسته في سنة 1986م، وتأتي أهميته من جهتين:

- الأولى أنه أول كتاب ينشره العمري بعد التحاقه للتدريس بالجامعة.
- الثانية أنه كتاب طموح كما يعكس ذلك عنوانه الطويل بالنظر إلى حجمه الصغير.

ومما يلفت الاتجاه أنّ المؤلف أثبت في ذلك الوقت المبكر، ضمن قائمة المصادر والمراجع، كتابين لبيريلمان pereleman هما مصنف في الحجاج وإمبراطورية البلاغة[2].

هذه الإشارات التّي أحصاها اليملاحي فوجدها سبع مرات، والعمري بحد ذاته بين أهمية رؤية بيرلمان للناحية الإقناعية في البلاغة ويرى ضرورة تسليط الضوء على جانب الإقناع في بلاغتنا العربيّة ونصوصا، إذن المرحلة الإقناعية من المشروع البلاغي للعمري تضمنت دراسة الجانب الإقناعي في البلاغة العربيّة كنظرية وفي الكلام البليغ كنص متحقق بصفة الإقناعية أو الحجاج.

وعند الإطلاع على فحوى كتابه في بلاغة الخطاب الإقناعي وعنوانه الفرعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربيّة، نجد حديثه في الفصل الأول عن الموضوع، والمنهج يخصص لمعنى الخطابة عند الغرب والعرب، وتفريقها عن الشعر، باعتباره معاناة فردية واعتبار الخطابة فعالية مشتركة تأثيرية، هذا ما لا يمنع تقاطعهما[3].

ثم يتكلم عن أسس بلاغة الخطاب الإقناعي، من براهين وأسلوب وترتيب أجزاء القول، ويلاحظ بأنه في كل حضارة يغلب عنصر معين من هذه العناصر، وبالنسبة للخطابة العربيّة، غلب

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 07.

[2]- محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب مقاربة لمشروع العمري، ص: 251.

[3]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ص: 17- 18.

عليها عنصر الأسلوب، ثمّ يمضي الحديث عن أنواع الحجج على طريقة أرسطو، وقراءة بيرلمان له، مقسما إياها إلى حجج جاهزة أو مصطنعة، ويلاحظ عليها إتباعها لثلاثية الإيطوسات الأرسطية المعروفة[1].

وقراءة العمري لنص الخطابة العربيّة لم يلغ الظروف الملابسة لنشأتها أو ما سماها بالمقام، وتحديد مواضيعها، إذ يقسمها إلى خطابة دينية، خطابة سياسية، وخطابة اجتماعية، ولكل منها خصائص وأضرب تتفرع عنها ليدخل في تحديد الجزئيات التّي يحلل من خلالها نص الخطبة، بين: المقام والحجج والأسلوب، وعلى ضوئها يقدم عملا تطبيقيا فنا يدرس فيه خطبا للرسول صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر والحجاج بن يوسف كاشفا عن آليات الإقناع في الخطابة العربيّة والتأطير النظري الذي تنبه له اتجاه البيان البلاغي فيما يخص عناصر البرهان.

وهذا الكتاب ليس نهاية عهد العمري بالإقناع فسنجد اهتمامه بالعنصر الإقناعي لكنه سيعطيه حجمه الطبيعي ضمن البلاغة العامة التّي تحوي التخييل بجانب التداول والإقناع ضمن منطقة مشتركة، خاصة في كتابه البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ونجد كذلك للإقناع مكانته في البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها والذي سنركز عليه لرصد قراءة العمري للبلاغة العربيّة باعتبارها مشروعا مهتما بهذه الرؤية.

أما المرحلة الثانية "التصور اللّساني البنائي لبلاغة النص الشعري" تأتي هذه المرحلة ضمن عمل العمل على الخطاب الشعري، واهتمامه بالجانب الصوتي معلنا كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربيّة، يقول في ذلك: دخلت في مشروع إعادة صياغة البلاغة العربيّة انطلاقا من تصور لساني بنائي يراعي البعد التاريخي مبتدئا بالمستوى الصوتي الذي كان من يعاني من الإهمال رغم كونه يفسر في نظري، خمسا وسبعين في المائة "75%" من جمالية القصيدة العربيّة القديمة، وقد نشر هذا العمل الذي اقتضى انجازه أكثر من ثماني سنوات في ثلاثة كتب:

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 21.

1- تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية.

2- اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم.

3- الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية[1].

هنا نلاحظ بأن النص المستهدف ليس الخطابة، بل هو نص الشعر ويتم التركيز فيه على الجانب الصوتي الذي رأى بأنه مهمش في نظرة البلاغيين ودراستهم.

ويقوم العمري باستثمار المعارف اللّغوية خاصة منها الصوتية من تراثنا العربي، ويدخلها في حوار مع النص الشعري، لتساهم في تفسيره وتعليل اختياره، كل ذلك الاستعانة بالرؤية البنيوية والطرح اللّساني الحديث، هذا ما يفتح الباب على مصراعيه لمعرفة القدرات الوصفية التّي تمتلكها البلاغة العربيّة والتّي ينبغي تسخيرها في قراءة وتحليل الخطاب.

أما الكتاب الثاني فقد أراد له أنّ يكون مساهمة في تحقيق مشروع ما انفكت الحاجة إليه تتأكد: مشروع تاريخ للأشكال الأدبية، وعلامة هذا التاريخ وشرطه تقاطع البنيوي والتاريخي، وتجاوب الإبداعي "الشعري"، والوصفي "البلاغي"[2]. وهذا الأمر يفرع البلاغة العربيّة كترسانة إجرائية تسخر لتأريخ الأشكال في الشعر العربي في مختلف العصور.

والأسئلة التّي طرحها العمري كانت تصب في صميم عمل المؤرخ، لكن ليس أي مؤرخ للأدب بل هو المتهم بالسؤال الرئيسي حول أشكال الشعر، ثمّ السؤال حول اهتمامات البلاغيين بالمقوم الصوتي الإيقاعي القائم على الوزن والتوازن والأداء[3]، لأن الاهتمام بهذه القضايا في رأي العمري هو كشف لبنية هذه العلاقة، وإشارة إلى الأجزاء الغائبة / الحاضرة فيها، والتّي عاملتها القراءات التراثية المتتابعة معاملة الغائب ولم تهتم بها.

وقراءة العمري للموازنات الصوتية أعاد من خلالها الاعتبار لكتب البديع، مثل المنزع البديع "للسجاماتي"، وأعاد النظر في كتب، مثل ستر الفصاحة لابن سنان الخفابي، والملاحظ على عمله

[1]- محمد العمري، المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، 11 مارس 2000، www.medlomani.net.

[2]- محمد العمري، الموازنات الصوتية، ص: 05.

[3]- المرجع نفسه، ص: 09.

هذا أنه كان بدية جادة للاهتمام بالاتجاهات البلاغية، خاصة في فصله: "موقع الموازنات الصوتية في الاتجاهات البلاغية"، الذي اهتم فيه باتجاه الجاحظ وابن وهب الكاتب، ثمّ ابن سنان الخفاجي، والجرجاني والباقلاني ليربط النتائج مع مفاهيم التخييل والمحاكاة عند الفلاسفة كابن سينا والفارابي[1].

أما الكتاب الأخير فقد كأن توسيما للفصل الثاني من الكتاب الثاني، ويقول عنه: أما الكتاب الثالث فيدخل في إطار قراءة جديدة لتاريخ الفكر البلاغي العربي[2]: "فقد أعاد النظر في الاتجاهات المعروضة سلفا، ودعم عمله بالتطبيق على النص الشعري، من مراحل مختلفة، وأدمج عنصر الدلالة مدققا بين المصطلحات البلاغية، ومعتمدا على مفاهيم الكثافة الصوتية، الفضاء "الصوتي أو البصري"، والتفاعل بين الأصوات والدلالة، معرفا الموازنات الصوتية بكونها: "تفاعل عنصرين صوتيين أو أكثر في الفضاء"[3].

هذا العمل الذي يساهم في كشف العديد من المفاهيم الصوتية، التّي تشكل الدرس البلاغي العربي، وتضعه أمام استراتيجيات التطبيق بالوقوف أمام النص الشعري ومساءلة إمكاناته الصوتية المالية وعلاقتها بالدلالة، ويتم من خلال تفاعله مع بقية المستويات البنائية للنص، لأن الاهتمام بالجانب الإيقاعي يكشف عن اتجاهات الشعر العربي، بين اتجاه يعتمد على التراكم الصوتي، واتجاه يعتمد التفاعل بين الصوت والدلالة وينحو منحى تحليليا فلسفيا، ويوجد المذهب الوسط الذي يصفه بالتكامل، ويجعله للنخبة العربيّة غير المتفلسفة.

هذا التفكير الذي يصل بين التاريخ الشعري، والتفسير البلاغي ويساهم من جهة في كشف المغيب من بلاغتنا العربيّة، وهو ما سيتيح للعمري الانطلاق في مشروع إعادة قراءة البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها.

[1]- محمد العمري، الموازنات الصوتية، ص:09.

[2]- المرجع نفسه، ص ص: 47- 132.

[3]- موقع محمد العمري: http://medlomari.perso.SFr/entree.htm.

لذلك نجد بأن عمل العمري هذا، يتسم بقدر من الشمولية، ومحاولة الجمع قدر المستطاع ليكون مؤلفه مسحا كليا للدرس البلاغي العربي، مما جعل مشروعه هذا يكون مؤهل لتنطلق منه دراسات تحمل عناوين فصوله وتوسعها ضمن مشاريع بحث في الدراسات العليا[1].

1-3- دراسة البلاغة بين الشعرية والخطابية:

عرفت البلاغة العربيّة تأرجحا في المفاهيم والرؤى، فكان تارة تنسب إلى جانب شعري يغذيه البديع، وتارة أخرى تنسب إلى جانب يغديه البيان، وظلت البلاغة العربيّة تشهد تداخلا كبيرا بين الشعر والخطابة وكأنهما وضعتا في قالب واحد، إلى أنّ جاء "أرسطو" وفصل بينهما، وهذا ما أكده "العمري" بقوله: "لقد تنبه أرسطو لذلك ففصل الخطابة عند الشعر، وألف في كل منهما كتابا مستقلا، وتبعه في ذلك الفلاسفة المسلمون فحرصوا على التفريق بين طبيعة الشعر الذي يهدف إلى التخييل وطبعة الخطابة الهادفة إلى التصديق حسب الأحوال والاحتمال"[2].

وبذلك ترتسم أرض البلاغة لتتسع وتشمل طريقين اثنين: طريق "الشعرية" يمثله الجانب التخييلي الذي يقوم أساسا على الإمتاع، وطريق "الخطابية" ممثلا في الجانب التداولي الذي يقوم أساسا على الإقناع.

ولعل هذا ما دفع "العمري" إلى تأليف كتاب يعني بهذين الجانبين فكان أنّ جعله تحت عنوان: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، في إشارة منه إلى البعدين اللذين أصبحا يشكلان جناحي البلاغة أنّها بلاغة عامة ما زال يكتنفها الغموض واللبس من لدن الباحثين فبرغم العمل التركيبي الذي قدمناه في كتاب: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، والعمل النسقي التاريخي الذي قدمناه في كتاب: البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، ما زال مفهوم البلاغة غامضا في أذهان الكثير من الباحثين، خاصة في المشرق العربي، وهذا ما لمسه بقوة في الندوات القليلة التّي شارك فيها العمري في السنوات الأخيرة، بحيث نجد أنفسنا نتحدث عن شيئين مختلفين، وقد عبر أنه أحيانا بعدم جدوى

[1]- محمد العمري، اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي، ص: 137.

[2]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص:05.

الحوار المباشر، ذلك أنّ الآخر لا يقدم تصورا متكاملا يأخذ كل مكونات التراث العربي بعين الاعتبار، بل يكتفي بما وصله مبتورا من مسار السكاكي وشراحه.

فحين نتحدث نحن على بلاغة عامة ذات جناحين: التخييل والتداول، يتحدث هو عن "علم المعاني"و "علم البيان" و"علم البديع"، مخرجا الجاحظ وابن سنان وحازم ومن اتصل بهم، أو سار في طريقهم، من مجال تصوره واهتمامه ومن حسن الحظ أنّ جيلا جديدا من الشباب بدأ يتبنى التصور الجديد للبلاغة العامة، وصار البعد الحجاجي للبلاغة يحظى بعناية خاصة، وتسجل برسمه أطروحات جامعية لأول مرة في جامعات شرقية[1].

لهذا ينقلنا العمري بهذا الكلام نقلة نوعية تستلزم منا إعادة النظر في رؤيتنا للبلاغة رؤية من شأنها أنّ تنظر لبلاغة جديدة قوامها الحجاج الذي بات مطلبا أساسيا في كل عملية فكرية ونقدية.

ويضيف إضافة بالغة الأهمية تضع الجانب التاريخي في دائرة الإنصاف، كونه لم ينكر البتة الحضور الدائم والمستمر للبعدين: الشعري والخطابي في البلاغتين العربيّة والغربية على حد سواء.

"وإذا كان الجانب التاريخي يقدم معرفة بمنابت البلاغتين العربيّة والغربية، ويصرف النظر عن بعض الأسئلة الزائفة، مثل سؤال الأصل والأثر"، فإنه يقدم بدوره الحجة القاطعة على أنّ البلاغة كانت دائما ذات جناحين: جناح شعري وجناح خطابي، جناح تخييلي وجناح تداولي[2].

وبذلك فإن البلاغة لم تعد حكرا على جانب دون جانب آخر، بل اتسعت رقعتها وأضحت إمبراطورية مترامية الأطراف بعد أنّ كانت إمارة يكتنفها الجمود والتقوقع في المفهوم، وهذا ما رجح انتقالها من بعد جمالي فني إلى بعد حجاجي إقناعي، وأمدت الباحث العربي والغربي بآليات وميكانيزمات سهلت له الطريق إلى إحداث نوع من التواصل بين عديد النصوص.

وتجعل الوظيفة الإقناعية للبلاغة من التواصل معركة يصير فيها الكلام سلاحا، والهزيمة جرحا قاتلا، ولأجل هذه المعركة تضع البلاغة بين يدي المتكلم مجموعة من الإمكانات الفكرية [...]، والعاطفي [...]، و اللّغوية [...]"، وحتى التمثيلة [...]، ومن هنا نخطئ حين نعتبر البلاغة جمالية للغة، إنما هي أيضا فلسفة التفكير، وثقافة المجتمع، وأبديولوجيات الطبقات، وأسلوبية الحوار، ومثال

[1]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والقراءة، ص ص: 6- 7.

[2]- المرجع نفسه، ص: 7.

العقل البشري عموما، هكذا فلفظ البلاغة يمتلك دلالة مزدوجة: فهي أداة محاججة ووسيلة تفكير وتقنية للإقناع، إضافة إلى كونها فن القول وجودة الحديث والكتابة فيما بعد[1].

فهو هنا يؤكد على البعدين التخييلي والتداولي اللذين نظر لهما الباحث "محمد العمري"، والذي أشار سابقا إلى أنّ "أرسطو"، قد تنبه إلى ذلك حين فصل بين الشعر والخطابة، وفي هذا الفصل يقول "الكواز": "وهذا الفصل ليست اعتباطيا، بل هو يؤكد الحدود القائمة بين كل من الشعرية والبلاغة: فالأولى تدرس المحاكاة "أو التخييل بمصطلح الفلاسفة العرب"، أنّها تهتم باستحضار الصورة، بينما تدرس الثانية السبل المؤدية إلى الإقناع، أنّها تتعلق بالتواصل اليومي، بالفكرة"[2].

وبهذا الطرح الذي يقدمه "العمري" عن البلاغة ببعديها التخييلي والتداولي، يلفت انتباهنا إلى مشروع يمكن تمثله في الحاضر ليكون مهيئا لمحاراة المستقبل، هذا المشروع ينقل البلاغة من بلاغة خصت في مرحلة سبقت بخطاب بعينه إلى بلاغة تشمل عدة خطابات، أنّها بلاغة عامة، وهذا ما أكده "الكواز"، في قوله: تحول البلاغة إلى علم مستقبلي، حيث صارت تنزع إلى أنّ تصبح علما واسعا للمجتمع، فهي لم تعد علما خاصا "بالخطاب" وإنما صارت علما عاما "للخطابات" كافة وهو ما يعبر عنه مصطلح "البلاغة العامة"[3].

رابعا: مقاصد ومرتكزات المشروع

1-1- مقاصد المشروع:

ما يرمي إليه العمري من خلال مشروعه، ليس فقط تاريخ البلاغة العربيّة بطريقة روتينية تتبع المحطات التاريخية، أو معرفة أهم اللحظات في درسها، بل يتجاوز هذا المقصد الداخلي الضيق ليوسعه إلى تاريخ البلاغة العالمية، ومن المهم أنّ نذكر عبارة العمري في مدخله العام حول التأريخ في البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها إذ يستهل عمله ببيان أنّ كتابة تاريخ للبلاغة العربيّة مسألة ملحة لاعتبارين عام وخاص، أما الأول فلأن الدراسات المنجزة غير كافية أو أنّها جزئية، أما الاعتبار الخاص وهو

[1]- محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2006، ص ص: 23- 24.

[2]- المرجع نفسه، ص: 24.

[3]- المرجع نفسه، ص: 24.

اعتبار منهاجي يختص بتغير ظروف القراءة وتغير السؤال الأدبي، يردف قائلا: "وقصارى ما يطمح إليه "عمله" أنّ يكون خطوة في السعي لكتابة تاريخ شامل للبلاغة العربيّة"[1].

ثم يحدد المسار الذي يسير فيه من أجل مقصده مذكرا بأن التّي ارات النقدية الحديثة "ترى إمكانية إعادة قراءة البلاغة على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة"[2]، ويضع العمري أعماله ضمن هذا الإطار.

إذن مشروع العمري يهدف إلى تأريخ البلاغة العربيّة تأريخا يحافظ على الأصول التّي بنيت عليها ولا يهتم فقط بتسلسل التاريخي لأن هناك من التّي ارات والاتجاهات التّي تنشأ متوازية ومتابعتها تحتم اعتماد مفاهيم كالنسق والبنية... وغيرها من المفاهيم التّي سنتوقف عندها لنكشف استثمار العمري لها، كذلك من المهم أنّ نشير إلى أنّ ما يرمي إليه العمري هو قراءة هذه البلاغة ضمن التّي ارات المعاصرة وفي ضوئها وذلك لإغنائها وكشف المغيب منها، ونجد عند العمري غرضا تعليميا يريد الوصول إليه رغبة منه في تغيير طرق تدريس البلاغة التّي أصبحت قديمة وتكلست عقول المعلمين والطلبة من جراء تكرارها واجترار الشواهد المعتادة في أبواب البلاغة.

كما أنه يولي عناية خاصة لهذه الوسيلة، إذ يعتمد عليها كثيرا في تقريب المادة المعرفية إلى القارئ [...].

فالبلاغة العربيّة والتنقيب عن أسرارها وعن تعلقاتها الخارجية يسمح بانضمامها لتكميل تاريخ البلاغة العالمي، خاصة فيما يخص النقطة المشتركة بيننا وبين الغرب وهي قراءة أرسطو، أما ما يخص باقي المنجز البلاغي العربي فلا يمكن أنّ نجد مكانا يتسع له في تاريخ البلاغة العالمية خاصة ما يتعلق عندنا ببلاغة القرآن الكريم وإعجازه أو دراسة الشعر العربي واستخلاص القوانين البلاغية منه، أو تأسيس الاختيارات الشعرية على أسس بلاغية[3].

[1]- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 09.

[2]- المرجع نفسه، ص: 11.

[3]- المرجع نفسه، ص ص: 212- 213.

1-2-مرتكزات المشروع ومقوماته:

المقصود من المرتكزات والمقومات هي الأسس المنطلقات التّي بنى العمري عليها مشروعه، والسبل التّي اتخذها وسلكها للكشف عن المغيب والمجهول من بلاغتنا العربيّة.

أ-البحث من الداخل وتوسيع شبكة العلاقات:

ينطلق محمد العمري من التراث العربي البلاغي ليفحص مناطقه ويتحسس مكامن القوة فيه، ويبحث عن الأسئلة البلاغية التّي تمكن من الحصول على مشروع بلاغي محدد النسق والمقاصد، ونجد عملية البحث من الداخل أو ما سماه بالاكتشاف من الداخل في بحثه عن أصول ومنابت البلاغة العربيّة، وربط العلاقات بين هذه الأصول، ثمّ في امتدادات المشاريع البلاغية الكبرى.

ومن الأهمية بمكان أنّ نعرف: ما المقصود بالنسق عند العمري؟ وما هي الطريقة التّي اتبعها في تحديد الخيوط المتحكمة في أصول البلاغة العربيّة، وتعيين منابعها وروافدها؟

- تحديد النسق:

يحدد النسق باعتباره: "مركب من عناصر مختلفة تضبطها علاقة قائمة فيما بينهما"[1]، ونلاحظ التشابه القائم بين النسق والبنية وإذا كان النسق من مضامين البنية ومرتكزاتها لأنه النظام الذي يحكم عناصرها، هذا ما نجده عند بتيرتا وربرت عندما يقوا: "إن البنية هي نسق من العناصر أو الوحدات المنتظمة فيما بينها تنظيما داخليا"[2].

وإذا توجهنا للنسق عند محمد العمري وجدناه منطلقا نظريا أخذه من البنيوية وسخره كأداة إجرائية تمكنه من رصد الخيوط التّي تحرك المشاريع البلاغية والتّي تؤهلها لأن تكون محورا للدراسة اتجاه معين، وهذا ما نلمسه في حديثه عن السياق الذي نشأت فيه الدراسات البلاغية أو الظروف العلمية الفكرية التّي أحاطت بها، "لقد تقوى مفهوم النسق والبنية في البحث العلمي العربي منذ البداية،

[1]- بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة، ص: 109. نقلا عن: paul arom denissaint jacques.

[2]- بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار الفجر للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2006، ص: 13.

عندما غلب القياس على الرواية، القياس الذي يقوم على استقراء الظواهر واستخراج نظامها الخفي الذي يترجمه الإطراء"[1].

إذن فالعمري في بحثه عن المشاريع والمنجزات يقيم ويركز بحثه على الأنساق والبنية واستخراج الأنظمة التّي تتحكم في المشاريع والمنجزات، باعتبار أنّ البحث العلمي العربي لجأ إلى القياس مرسخا فكرة النسق التّي ترجمها علماء اللغة وغيرهم تحت مسمى الأسرار أو السر كما نجدها عند ابن جني أو الأنباري، ثمّ يلاحظ النسقي ومشاغل وجود نظام يحكم الدرس البلاغي في أعمال البلاغيين "فالهم النسقي كان حاضرا في أعمال البلاغيين العرب"[2].

فالعمري سيبحث عن المؤلفات والمشاريع التّي تحقق معيار الفكر النسقي، وتنتظم أفكارها ضمن نظام يحكمها، وهذا ما سيجعله يقصي أعمالا بلاغية بحجة عدم توفر النسق والمقصد، لكن هل كشف العمري كل الأنساق التّي تقف وراء الأعمال البلاغية واتجاهاتها؟

لأننا نلاحظ وجود أعمال لم تعط موقعها من تاريخ البلاغة العربيّة، فمثلا تناسي العمري لكتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز مع ما يحمله من هموم بلاغية نصية صميمة تعبر عن اتجاه البلاغة النصية التّي تهتم بالنص وتنوع في التعامل مع نماذجه هذا التناسي غير مبرر، وإن كان له ما يبرره فهو طبيعة انتقاء العمري التّي شابها الاعتماد على المركزيات بحجة توفر النسق فيها، يتبع هذا كذلك تهميشه للمثل السائر لابن الأثير مع ما يمثله من مشاغل البلاغة التطبيقية التّي كان فن الكتابة والإنشاء، مصدرا لها.

ويصرح العمري بأن من بين أهم مرتكزات عمله في تاريخ البلاغة العربيّة استخراج أنساق المؤلفات، ومن ثمّ تحديد المشاريع التّي تمثلها بعد أنّ رأى انتزاع المقولات البلاغية وتجزيئها بعيدا عن نسقها من طرف الدارسين الذّين لم يفهموا حقيقة الارتباط بين الدرس البلاغي والظروف المولدة له والعلاقات الكامنة بين جزئياته فيقول: "وبدأ يزعجني ما أسمعه في الندوات العلمية من استشهادات

[1]- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 15

[2]- المرجع نفسه، ص: 15.

بنصوص منتزعة من النسق، لا تعدم في المؤلف التّي أخذت منه ما ينقضها أو يخافها مخالفة صريحة ولذلك كان من بين همومي الموجهة حين تصديت لإعادة قراءة تاريخ البلاغة العربيّة استخراج أنساق المؤلفات في حوار بين المشاريع والمنجزات"[1].

إذن فتحديد النسق هو المعيار الذي يؤهل العمل البلاغي لأن يكون مشروعا في نظر العمري، وهي رؤية ينجح العمل بها، لكنها تعتمد على نوعية القراءة والرؤية التّي يتوجه بها الواحد نحو مؤلف معين فهناك من تنكشف له الأنساق المتحكمة بفعل معرفته بالخلفيات والظروف المولدة للعمل البلاغي وهناك من يرى في أعمال بعض البلاغيين مجرد تراكم وروايات، كحال العمري مع العمدة لابن رشيق القيرواني، فلا تستغرب أنّ يطلع علينا دارس آخر يؤرخ للبلاغة العربيّة يضع عمدة ابن رشيق في مركز الدرس البلاغي، ويكشف عن نسق لم يره العمري أو لم تكن وجهة العمري تتفق مع مسار نسق صاحب العمدة.

ففكرة النسق هذه أخذها محمد العمري واستعان بها في إطار إعادة قراءة الدرس البلاغي العربي والكشف عن تياراته واتجاهاته وربط العلاقات واكتشاف الأدوار التّي يؤديها كل اتجاه ضمن نسقه أو ما يفيد به أنساقا أخرى، لأن البلاغة العربيّة ليست مجموعة من المؤلفات والأسماء والفنون الكلامية لا صلة بينها عيت في الحي انتسابا، وفي أحيان نجد أعمالا لا نستطيع تصنيفها ضمن الاهتمام البلاغي لغياب الوعي النسقي.

لكل هذا يقول العمري: "ولا شك أنّ للمعالجة البنيوية اللسانية، جدوى كبيرة في استخراج الأنساق وتفسير الفعالية"[2].

فعمل العمري على المشاريع البلاغية التراثية تكمن من تصنيفها وتتبع مساراتها أو ما أسماه بخطوط الطول والعرض كانت البنيوية بمفهوم النسق الذي تحمله هي الموجه في تغليبه على الرؤية، بل إننا نجد الرجل أصبح يبحث لا عن النسق كوصف تتسم به التّيارات البلاغية العربيّة، بل في داخل

[1]- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 16.

[2]- المرجع نفسه، ص: 15.

أعمال البلاغيين وما أحاط بهم من دراسات لغوية ودينية، وهنا يصبح للنسق مفهوم خاص ضمن مشروع العمري فيقول: "لقد تقوى مفهوم النسق والبنية في البحث العلمي العربي منذ البداية، عندما غلب القياس على الرواية، القياس الذي يقوم على استقراء الظواهر واستخراج نظامها الخفي الذي يترجمه الإطراء "..." فالهم النسقي كان حاضرا في أعمال البلاغيين العرب"[1].

وعمل العمري في قراءة المؤلفات البلاغية كان يحدوه هم نسقي يسعى دائما لاكتشاف النسق المهيمن على المؤلف وهل لديه حقيقة سؤال بلاغي يقوم على أساسه؟ هو السؤال الذي يكشف من خلاله العمري وجود النسق من عدمه وعدم النسق المهيمن هو التراكمية التّي لا تجمع بين أوصالها مقاصد محددة، ونحن إذا حاولنا تأصيل الرؤية النسقية فإننا سنجد الرازي في نهاية الإيجاز يعمل على طريقة العمري مع الفارق في العصر والرؤية والآليات، إذ أنّ فخر الدين الرازي توجه نحو عملي الجرجاني الأسرار والدلائل وحاول استنباط القوانين التّي يقومان عليها، وفي ذلك نجده يصرح قائلا: "ولما وفقني الله تعالى لمطالعة هذين الكتابين التقطت منهما معاقد فوائدها ومقاصد فرائدها وراعيت الترتيب مع التهذيب والتحرير مع التقرير [...] وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية[2].

ويبني الرازي فيما بعد عمله على مقدمة وجملتين وهذا ما يوحي بالنسسق العقلي والمنطقي لعمله، فالقراءة النسقية نجد لها أصولا في التراث لكنها للأسف لم تمارس بطريقة موسعة وناجحة كما هو الحال عند الرازي أو ابن رشد في قرائته للخطابة.

وهناك أثر ودليل آخر على حضور الرؤية النسقية (البنيوية) عند العمري، ذلك من خلال استخدامه للخرائط المفاهمية والمخططات، باعتبارها لغة واصفة ميسرة، وضابطة للعلاقات، وموضحة للأصول والتعلقات، ويبرع العمري في ذلك، معطيا لعمله بعدا بداغوجيا، ويجعل الدرس البلاغي

[1]- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 15.

[2]- فخر الدين الرازي، نهاية الإيجار في دراية الإعجاز، تحقيق: نصر الله أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص: 25.

في مساراته "خريطة واضحة المسالك موصولة المواقع، وبهذا تتحول كتابة البلاغة العربيّة من الإنشائية الموضوعاتية والتاريخية إلى النسقي البنائية والتأويلية[1].

لكن العمري لا يريد أنّ يجعل من الدرس البلاغي العربي أسيرا داخل أنساقه، إنما يسعى دائما إلى تبيان علاقاته مع بقية الأنساق "الخارجية"، عبر عملية تأويلية تحاول الكشف عن العلاقات وتبرير الأصول والمنطلقات، لأن صاحب المشروع يدرك أهمية دراسة المصادر والملابسات التّي أنشأت هذا الدرس، لكن البلاغة العربية تنتمي إلى نسق الثقافة والحضارة العربيّة، وهذه الأخيرة يسعى العمري إلى إحلالها محلها الطبيعي والتاريخي في سياق الثقافة العالمية من خلال البلاغة.

ومنه تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصور البيانية والأساليب الجمالية: أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره مما حتى يتقبل القضية أو الفعل القائم في موضوع الخطاب.

ويصف أرسطو "Aristote" البلاغة القديمة بأنها "فن الإقناع" متخذا من تحليل الأقوال الخطابية الذي يقوم على المحاججة سبيلا لها فهي موجهة إلى الجمهور، وتستهدف الحصول على تأييده لأطروحاتها[2].

وإذا كانت البلاغة هي فن الإقناع بالخطاب، وجب التأكيد أنه ليس حدثا معزولا، بل على العكس من ذلك، فإنه يقابل خطابات سبقته والتّي قد تكون ضمنية [...]، فالقاعدة الأساسية للبلاغة هي أنّ الخطيب الذي يخطب أو يكتب يهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق مبدأ الإقناع، وإنه يعبر دائما عن ذاته مع خطباء آخرين أو ضدهم، أي هناك دائما ارتباط بخطابات أخرى، فالقول البلاغي إذ يهدف إلى الإقناع بوسائل مختلفة بهدف تحريك السامع عاطفيا لتبني موقف الخطيب، أما بنية الخطاب الحجاجي ووسائله من الصعوبة بمكان أنّ تخرج عن:

[1]– محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب، ص: 255.

[2]– عدنان بن فريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، د.ط، 2000، ص: 52.

- **آليات لغوية محضة:** كألفاظ التعليل والإحالة والتكرار، وكذا الأفعال اللّغوية، إضافة إلى الحجاج بالتبادل والوصف وتحصيل الحاصل.

- **الآليات البلاغية:** وفيها الاستعارة والبديع وكذا التمثيل والطباق، وتقسيم الكل إلى أجزاءه.

الآليات شبه المنطقية: ويحسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته، وتندرج ضمنه بعض الآليات التّي منها الصيغ الصرفية كالتعدية بأفعال التفضيل والقياس وصيغ المبالغة[1].

– اختيار المشروع:

إن اختيار العمري للمشاريع البلاغية قائم على وجود النسق من عدمه، فبعد أنّ بين منابت البلاغة العربيّة وعوامل نشأتها الأولية الداخلية منها (الاختيارات الشعرية والنقد)، والخارجية (النص والمعيار وأسئلة النص المقدس) يلجأ إلى اختيار المشاريع الكبرى التّي مثلت محطات مركزية في تاريخ البلاغة العربيّة، والتّي يمكننا بالاعتماد عليها في ضوء الوافد الجديد الغربي يمكننا أنّ نبني بلاغة عربية عامة والمساهمة في وصل الحلقة المفقودة من تاريخ البلاغة العالمية[2].

واختيار العمري للمشاريع أو ما أطلق عليه اسم "الامتدادات أو النماذج الكبرى"[3] قائم كذلك على التفريق بين المشروع الذي يمثل المقاصد والمنطلقات التّي يجب أنّ يكون عليها عمل البلاغي في بنائه المعرفي، والمنجز هو ما وصل إلينا، إذ يقول العمري: "لقد قادني البحث في موقع الموازنات الصوتية من الرؤية البلاغية [...] إلى تكوين تصور عام عن مسارات البلاغة العربيّة وخلفياتها الفكرية والأيديولوجية، كما قادني إلى اكتشاف الفروق بين المشاريع والمنجزات وما يؤدي إليه ذلك من تضارب بين منطوق نصوص من المؤلف البلاغي الواحد[4].

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 2، 2015، ص: 447.

[2]– محمد عبد الرزاق بوعافية، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة، ص: 112.

[3]– محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 277.

[4]– المرجع نفسه، ص :15.

ولهذا نجد العمري قد اختار دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، ثمّ سر الفصاحة ليختم الحديث عن الامتدادات بمنهاج البلغاء لحازم القرطاجني لأن كل واحد من هذه المشاريع كان له منطلقات نظرية ومقاصد وضعها وعمل على تحقيقها في منجزه.

لكن نظرة العمري لبعض الأعمال البلاغية وقراءته لها قد توصف بالإجحاف؛ خاصة ما يتعلق بتصنيف السجلماسي والمراكشي ضمن تيار البديعيات مع أصول البلاغة الأولى خاصة ما أطلق عليه النقد التطبيقي الناشئ عن الخصومات بين القدماء والمحدثين والتّي تطورت وأصبحت على شاكلة الدرس البديعي الذي يصفه العمري بالتكرارية والتراكم دون توفر النسق ولذلك لا يدخل ضمن نطاق اهتماماته في الحديث عن المشاريع الكبرى في تاريخ البلاغة العربيّة، ويقول العمري: "إن هذا الجهد الذي بذله البديعيون لم يتجاوز التصنيف إلى التفسير فهم وإن عايشوا الجدل حول سر الفصاحة وأسرار البلاغة فإنهم لم يهتموا بكشف السر المختفي وراء كل الصور، [...]؛ ولهذا كانت عملية التجنيس نفسها بدون روح، لم تختلف كثيرا عن عملية النظم والتحنيط"[1].

هذا هو موقف العمري من مؤلفات البديع، والتّي تمثل في رأينا اتجاها مهما ينبغي الكشف عن مقاصده وخلفياته واستراتيجيات عمله، وفي ذلك نجد محمد مفتاح الذي درس كلا من الروض المريع والمنزع البديع في كتابه التلقي والتأويل وهو المتمم لمجهول البيان السابق عليه.

يقول محمد مفتاح في دراسته للمنزع البديع: "ومن يرجع إلى الكتاب يدرك مجهودا جبارا في القراءة وفي التصنيف وفي الترتيب وفي تقديم قوانين للتأليف يسير على هديها الناثر والناظم للإقناع والإمتاع، كما كان يتغيا قوانين للتأويل تعصم من الهذر والقول في المخاطبات بغير علم"[2].

وهو يصرح في عنوان عمله، بأنها مقاربة تهدف لكشف الأنساق، والعمري كذلك جعل من توفر النسق معيارا لاختياره المشاريع البلاغية، والسكاكي جعله تابعا، لأن العمري جمع كل الدرس البلاغي البديعي في عملية تعميم شاملة ولم يهتم به.

[1]- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 64.

[2]- محمد مفتاح، التلقي والتأويل مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2009، ص: 61.

مع أنّ محمد مفتاح يصرح بأنه قد وجد بهذه المؤلفات ما هو موجود في الدرس البلاغي الجديد، ويقول: "هكذا قرأنا أدبيات في البلاغة الجديدة وفي نظرياتها من إبدالية وتشبيهية فاعتقدنا أنّها من بنات أفكار البلاغيين المعاصرين، ولكننا لم نلبث أنّ وجدنا ابن البناء يذكر الاستعارة التناسبية الإبدالية والاستعارة التشبيهية"[1].

ويعرج على السجلماسي الذي اعتمد المقاربة الأرسطية في معالجته للبديع في البلاغة العربيّة وقد كان هدف السجلماسي أنّ يقوم بإحصاء: "قوانين أساليب النظوم التّي تشتمل عليها الصناعة الموضوعة لعلم البيان"[2].

وهو يصرح بالهدف والمقصد، ويزيد مفتاح على ذلك، بأن هذا التّي ار البلاغي البديعي تأثر بما هو أرسطي، وتوافقه مع ما نجده عند الغرب، راجع إلى وحدة الطبيعة البشرية، وهنا نفهم سر اختلاف موقف العمري عن موقف أستاذه، الأعمال البلاغية ضمن منطلقاته، وإن اهتم بالسياق الفكري المذهبي، وهو الذي مكنه من فهم ابن سنان الخفاجي، فلو سخر قراءة مماثلة وموسعة للبديعيات المتأثرة بنظرية المقولات الأرسطية لخرج بنتيجة مغايرة، ولتمكننا من رؤية مشاريع أخرى بعد أنّ حاولنا تبيان العناصر الأصلية فيها والتّي تؤهلها للوقوف جنبا إلى جنب مع الدرس البلاغي الجديد[3].

ب- البحث في الخارج:

بعد المحاولة على الوقوف على شبكة العلاقات الداخلية التّي قام العمري بنسجها وتحديد نسقها وعلى أساسها اختار المسارات الكبرى التّي سيدرسها، ومن السبل التّي استعان بها لرؤية البلاغة العربيّة والكشف عن الغيب منها، التّي أتاحها له الدرس المعاصر الجديد، والعمري تمكن من هذه السبل من خلال القراءة والترجمة والمساءلة.

[1]- محمد مفتاح، التلقي والتأويل مقاربة نسقية، ص: 82.

[2]- السجلماسي، منتزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، الرباط، المغرب، ط 1، 1980، ص: 180.

[3]- محمد عبد الرزاق بوعافية، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة، ص: 115.

– القراءة:

المقصود هنا بالقراءة، هو تلقي العمري للوافد الجديد، وطريقة فهمه وتأويله، ومن ثمّ استخدامه وتوظيفه في التنقيب عن روافد البلاغة العربيّة، وكشف المغيب منها.

وقد كان عمل العمري على الخطاب الإقناعي، خطوة أولى في دراسة المغيب والمنسي من بلاغتنا العربيّة ونصوصنا النثرية والخطبة منها على وجه التحديد، "ويستعين العمري في عمليته البحثية هذه بجهاز مفاهيمي [...] يجمع إلى القديم وعيا جيدا بالبلاغة المعاصرة، وإحساسا مبكرا ببلاغة الحجاج"[1].

إن قراءة العمري خاصة في بعدها التأويلي الذي ينتفع بالنصوص لا من أجل فهمها، بل لتجاوز ذلك إلى فهمها[2] أنّ قراءته لما كان ينتجه الغرب خاصة مع الدراسات الأولى التّي اهتمت ببلاغة الحجاج وحصرت إعادة مكانة البلاغة فيها وهو الاتجاه المنطقي والفلسفي الذي قاده شاييم بيرلمان، قد حدثت في وقت مبكر حين كان النقد العربي المعاصر مفتونا بالبنيوية والبنيوية التكوينية وفي حالات نجده كان لا يزال يعمل بالاتجاهات السياقية والفنية، ضمن كتابي بيرلمان[3].

إن قراءة محمد العمري للمنجز الحجاجي الغربي فتحت أمامه آفاقا جديدة لتحليل الخطاب العربي لاكتشاف آليات إنجازه، وكانت الخطابة الميدان الذي عمل عليه في مؤلفه الأول: في بلاغة الخطاب الإقناعي، والملفت للنظر هو استيعاب العمري للنظرة الحجاجية البلاغية الغربية وعدم تطبيقها مباشرة على النص العربي إلّا بعد المرور على خصوصيات البيئة التّي أنجزت هذا الخطاب، وكذلك فحص رأي البلاغة العربيّة وإن كان غير ظاهر في عمله يشكل جلي، فالعمري عندما يقرأ الأعمال البلاغية الغربية يحاول إجراء عملية تأويل لمضامينها ولا يسارع لتطبيقها على النص العربي مباشرة ولهذا كان تحليله لنص الخطابة في القسم التطبيقي لعمله خاضعا للرؤية العربيّة أولا ثمّ يستعين

[1]– محمد السالم ولد محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2008، ص: 255.

[2]– محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب، ص: 248.

[3]– المرجع نفسه، ص: 251.

بالخطاطة الأرسطية عبر بيرلمان، ولم يأتي بالقالب الحجاجي الجديد ويطبقه بشكل تعسفي على النصوص العربيّة، وإنما استدعى كل الخلفيات التّي تقف وراء النص وتقف وراء تحليل القدماء له.

كما نجد قراءة العمري لجماعة مو "Mu" وتأثره بها في مسألة البلاغة العامة rhétorique générale واستفادته من كيبيدي فارغا kibedi varga من خلال كتابه البلاغة والأدب، نجد قراءته لمشروعهم كانت قراءة تعمل بالتوازي مع الوعي بما هو موجود في التراث العربي، فيذكر اتجاههم ضمن التّي ارات الكيرئ للبلاغة الحديثة باعتبار الجماعة تهتم بالصور البديعية ثمّ يشير إلى أنّ هذه الصور (بالمفهوم الذي قصده ابن المعتز)[1]، وهناك قراءة لا تعتمد عنصر النظرة المتوازية أو المقارنة، إنما تعمل على بناء نموذج بلاغي طبيعي؛ يحترم الخصوصيات العربيّة للمنجز اللغوي ومميزات الدرس البلاغي العربي ويعمل على إتمام الناقص منه بالاستفادة مما هو غربي بما أنّ البلاغة العربيّة حلقة مهمة لاستكمال البلاغة العامة العالمية، وهنا نجد العمري يقدم مشرعو البلاغة العامة من خلال قراءته لهنريش بليث وكيبيدي فارغا، خاصة عندما ترجم للأول.

ومنه ضرورة التساؤل، عن المنهج الذي اتبعه محمد العمري في قراءته للوافد الجديد القادم من الغرب، فمحمد العمري كان متشبعا بالتراث العربي، ليس في طور دراساته الجامعية، بل من قبل ذلك، من أيام الكتاب الأول، ولهذا فقراءته للمعطيات البلاغية والنقدية الجديدة تمت باحترام الخصوصية التّي يتميز بها التراث العربي، وكذلك كانت تبحث في الدراسات الغربية بعيون عربية، تمتلك خلفيات تمكنها من استكشاف الجديد والاستفادة منه، وفهم القديم في ضوئه، مع أنّ محمد العمري يصر على السير وفق المسار الأرسطي[2]، متتبعا أعلام الفكر العربي في قراءتهم المذهلة لمنجزاته (فن الشعر والخطابة)، لكنه يسير على هذا الطريق محترما خصوصية المتن العربي، وخصوصية العقلية العربيّة ذات البعد الإسلامي.

[1]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 29.

[2]- المرجع نفسه، ص: 284.

كان الحوار هو المحور الذي أقام العمري عليه منهجه، في قراءة الدرس البلاغي والنقدي الجديد، حوار بين التراث والحداثة، ويرفض العمري أنّ يكون لمسيرته العلمية مساران، بل يؤكد على أنّ "المسار واحد أوحد، وهو البحث عن بلاغة عربية حديثة من خلال الحوار بين التراث العربي والمناهج والنظريات الأدبيّة الحديثة"[1].

هذا الحوار الذي يجريه العمري في شروعه، يكتسب شرعية التجديد والحداثة من مطالب المشاريع التراثية، ويكتسب التأصيل من العلاقات التّي تبنى بين الجديد والقديم، لأننا عندما نمحص النظر في قضايا البلاغة، سنجدها تشرك مع بلاغات أخرى، لأنها إنجاز إنساني، يجمع بين علوم الإنسان وعلوم اللسان، ومما لا سبيل لإنكاره، أنّ القدماء أشاروا من خلال حديثهم عن القوانين الكلية للصناعة الشعرية أو الخطابية لمثل هذا الأمر.

– الترجمة والمساءلة:

"الترجمة تعني الفهم والتأويل معا، وهذا يتضمن نقل نص من لغة طبيعية إلى لغة أخرى"[2] هذا الأمر يمارسه كل مترجم؛ فالنقل من لغة إلى أخرى تجري في خضمه فعاليات الفهم والتأويل، ولكل مترجم آفاقه وخلفياته التّي تتم من خلالها عملية النقل.

وإذا رجعنا إلى أعمال العمري صمن شروعه نجده استهدف بالترجمة عملين هامين هما:

- بنية اللغة الشعرية لجان كوهن، وكانت الترجمة بالإشراك مع محمد الولي.
- البلاغة والأسلوبية لهنريش بليث.

وكان عمله في ترجمة هذين العملين متوازيا مع بحثه البلاغي، بل أنّ ترجمته كانت تستهدف التنقيب عن فهم الغرب للبلاغة، أو توضيح العلاقة بين الميادين مثل الشعرية والأسلوبية بالبلاغة.

فاهتمامنا بالترجمة كمرتكز خارجي، في بناء مشروعه البلاغي، هو الكشف عن المساءلات التّي أراد العمري طرحها، وإيجاد حلول لها على مستوى الدرسين النقديين العربي والغربي، ونعترف

[1]– محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 284.

[2]– محمد بوعافية، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة، ص: 119. نقلا عن: paul arom kdenis saint.

بإمكانية تناول الترجمة عند العمري موضوعا منفصلا، يعمل على الكشف عن خلفيات فهمه وتأويله ومقاصده بالموازاة مع أسئلة البلاغة العربيّة وهذا ما جعل محمد العمري يختار أعمالا بعينها دون غيرها وقرر ترجمتها وخروجه بترجمة لبنية اللغة الشعرية، والبلاغة والأسلوبية، وأثر ترجمته وفهمه للعملين على بحثه في البلاغة العربيّة.

فنجده يبين بأن ما دفعه لترجمة عمل هنريش بليث هو ذلك التشتت الذي تعيشه الدراسات العربيّة النقدية في المستوى الجامعي، بين سيميائيات وشعرية وأسلوبية وغيرها، من المقاييس التّي تتناثر تناثر النجوم في السماء، إلّا أنّ للنجوم نظاما محكم تحركاتها، ويربط علاقات تناظراتها مع الكواكب، وهذا ما لا نجده بين هذه المجالات العلمية في الجامعة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية وجد فيه العمري نموذجا يحاور النظريات القديمة والحديثة ويفتح باب الاجتهاد والاقتراح[1].

وترجمة العمري لهذا العمل أدخلته ضمن أجواء بناء البلاغة العامة، التّي سنجد الدعوة لها، ولمقومات بنائها ضمن أعمال البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، وأسئلة البلاغة، ويقول في ملخص ترجمته: "ينضوي هذا البحث ضمن مشروع كبير لبناء بلاغة عامة جديدة تستوعب إنجازات البلاغة القديمة وتستفيد من اجتهادات الأسلوبية الحديثة، محاولة تجاوز جوانب النقص فيهما باقتراح نموذج يقوم على نظرية الانزياح في التركيب والدلالة والتداول"[2].

إن فهم العمري لمقاصد هنريش بليث كانت تصب لصالح بناء نموذج البلاغة العربيّة العامة، واستحضار المغيب منها، مما جعل ترجمة العمري تكون قراءة، وفهما، وتأويلا يحصل دائما، باستحضار البلاغة العربيّة، فمثلا عندما يتحدث بليث عن كون البلاغة القديمة فكر نسقي يعمل على الحفاظ على قوانين ينتج حسبها الخطاب، يجعل العمري هذا الأمر قابلا للنقاش في البلاغة

[1]- هنريش بليث، البلاغة الأسلوبية، تر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 9.

[2]- المرجع نفسه، ص: 11.

العربيّة لأن هناك تيارا بلاغيا يقوم على دراسة النصوص واستخراج مكامنها وإمكانياتها البلاغية والجمالية[1].

فقد كانت الترجمة محورا ثانيا بنى من خلاله العمري مشروعه ونظر في ضوئه إلى البلاغة العربيّة، لكنه لم يحاكي النموذج الغربي، بل سعى لفهم خصوصيات الدرس البلاغي العربي، والاستفادة من الاتجاهات الغربية قدر ما تسمح به الظروف، وبنية النصوص المنتجة، والمكونات النظرية، والآليات التطبيقية للجهاز البلاغي الواصف.

وقد كان العمري يفكر في غيره من الدارسين، عندما كان يتوجه لترجمة عمل معين، لإيمانه بأن الدرس الجديد (باعتباره عدة وأداة منهاجية[2] ضروري ليتمكن الدارسون من فهم الحاضر، ليس بأعين الماضي، ولا بأعين الآخر وأهوائه، بل وفق ما تمليه الحقيقة التّي يتضمنها التراث، والضرورة التّي توجبها مستلزمات العصر الحاضر[3].

[1]- هنريش بليث، البلاغة الأسلوبية، ص: 23.

[2]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 284.

[3]- محمد عبد الرزاق بوعافية، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة، ص: 122.

المبحث الثاني: البحث في بلاغة الخطاب الإقناعي.

أولا: بلاغة الخطاب الإقناعي:

1-1-الإقناع:

تعد بلاغة الإقناع مطلبا رئيسيا في دراسة الخطاب الذي أضحى يشكل اليوم نافذة مطلة على حقل الأدب عموما وعلى أرض البلاغة خصوصا، وذلك لما له من أهمية بالغة وقيمة مضافة، وتكمن هذه القيمة للقصدية التّي يراد بها التأثير، وعلى هذا الأساس لا يمكن أنّ يعد خطاب ما خطابا حقيقيا إلّا إذا كان موجها للغير ويراد به التأثير، وثمة جوهر الخطاب، ولذلك على أرسطو كثيرا بالخطابة وعدها صناعة تتصدر كل الصنائع الإنسانية وذلك راجع إلى الدور الذي يلعبه الإقناع فيها، "وقد اكتسبت الخطابة هذه المكانة من دورها في الحياة اليونانية القائمة على نظام ديمقراطي يلعب فيه الإقناع دورا مهما سواء في المجالس الاستشارية أو المحاكم أو المعاقل".[1]

وحسب كلام العمري فإن الخطابة اليونانية لم تكن لتقوم لولا الإقناع الذي بات بلاغة يروج لها، وصنعة يسعى كل خطيب أنّ يحسنها، وهذا ما جعل "أرسطو"، يعرفها تعريفا يصفها بالقوة التّي تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة، "وبهذا التعريف يكون قد أسس لبلاغة الإقناع في الحضارة الغربية، وللحضارة العربيّة التّي استلمت الكثير من أرائه: "وبهذا التعريف وما ستتبعه من بحث في وسائل الإقناع والتأثير صار أرسطو أستاذا لمن بحث بعده في موضوع الخطابة من القدماء، واكتسبت نظريته في التأثير حسب الاحتمال، وما يقبله الجمهور أو يرفضه، أهمية كبيرة عند المحدثين".[2]

لقد سعى أرسطو إلى توضيح ماهية الخطابة وأهم الأسس التّي تقوم عليها لإخراجها من دائرة السفسطة التّي التصقت بها لفترة من الزمن، وتوجيه الخطابة وجهة تقوم على الإقناع والتأثير، وقد أعاد أرسطو الوضع إلى نصابه حين فرق بين الخطابة والسفسطة من جهة، وبين الخطابة والجدل، من

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 12.

[2]- المرجع نفسه، ص 16.

جهة أخرى، معتبرا البلاغة تقنية تقدم الوسائل المناسبة للإقناع في كل حالة حدة، ... فهي أشبه بالطب، أي أنّها لا تقدم الشفاء قطعا وفي جميع الأحوال "كما يزعم السفساطيون"، بل تقدم وسائل العلاج في كل حالة على حدة[1].

كما يحيلنا "العمري" إلى نقطة بالغة الأهمية، تتمثل في التعدد الذي يحصل لبلاغة الإقناع، فلا تكون واحدة في نسقها، وذلك يعود إلى طبيعة الخطاب في حد ذاته، فالبلاغة اليوم لم تعد تلك البلاغة الأحادية التّي تركن إلى زاوية ضيقة، بل أضحت البلاغة بلاغات، وكل بلاغة تختص بخطاب مخصوص، وكل خطاب مخصوص له متوالية من الأقوال والملفوظات التّي يرجى منها إحداث نوع من التواصل الذي يتوج ببلاغة الإقناع: "وبفضل الجهود المبذولة في مجال كشف النسق البلاغي وفاعليته في مجالات الخطاب المتعددة، وبفضل الدقة التّي يتميز بها التناول البلاغي للخطاب، نلاحظ أنّ البلاغة صارت اليوم منطقة مشتركة بين العلوم، تصدر مفاهيمها إلى المجالات الأخرى، فأصبح لكل خطاب بلاغة، ذلك أنّ لا علم يستغني عن البلاغة باعتبارها أداة الفهم والإفهام وأداة التأثير والاستمالة"[2].

وبما أنّ بلاغة الإقناع تتواجد بصور متفاوتة في الخطاب الذي يراد به إحداث التواصل في مجتمعنا المعاصر، فقد حظيت بلاغة الإقناع باهتمام الدارسين على اختلاف وتباين الرؤى والتوجهات من مجال إلى آخر، وتبعا لذلك تزيد حدة الإقناع الذي بات مطلبا ملحا في كل التخاطبات، حتى اليومية منها، وهذا ما جلب انتباه الباحث "محمد العمري"، فهيأ نفسه وقلمه للخوض في بلاغة الخطاب الإقناعي.

وبالنسبة إلى الدراسات البلاغية العربيّة المعاصرة، يمكن أنّ نستحضر كتاب محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي الذي صدر أواسط العقد الثامن من القرن الماضي، وأعيد طبعه سنة 2002، وفيه يلاحظ افتقار المكتبة العربيّة إلى دراسات للخطاب الإقناعي، وفي الواقع يعتبر هذا

[1]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 23.

[2]- المرجع نفسه، ص: 23.

الكتاب، إلى جانب بعض الدراسات والرسائل الجامعية، من الأعمال القليلة التّي تولي اهتماما لهذا الموضوع[1].

ونسجل اختلافا بين الغرب والعرب في تعاطيهما مع بلاغة الإقناع، إذ يرتبط الإقناع عند الغرب بالخطابة التّي أرسى قواعدها وحدد أجناسها "أرسطو"، في حين نجد أنّ الإقناع عند العرب شديد الصلة بعمليتي الفهم والإفهام، وذلك هو البيان الذي جاء به "الجاحظ".

نسجل هنا ملاحظة تبدوا لنا ذات أهمية كبيرة، وهي أنّ كلمة بلاغة ظهرت في تاريخ وصف الخطاب في اللغة العربيّة في الحقل نفسه الذي ظهرت فيه الريطورية "الخطابية" عند اليونان وهو الخطابة، ولا يتعلق هذا الاستنتاج بقضية الأثر والتأثر والتبعية والأسبقية، بل يتعلق بطبيعة الخطابة نفسها، لقد كان من المعقول تفرع البلاغة عند البيان، فتحول البيان إلى بلاغة يعني تقديم الإفهام على الفهم، أنّ لم يعن التخلي عن الفهم لصالح الإفهام نهائيا، أي الخروج من نظرية المعرفة إلى نظرية الإقناع[2].

وبهذا يؤكد "العمري" على ذلك الانتقال النوعي الذي قفر بالبلاغة العربيّة من بلاغة تعني بالمحسنات والزخارف اللفظية إلى بلاغة تعنى بعملية الفهم والتأثير في المتلقي.

ولعل هذا ما جعل الجاحظ، وهو يحمل هم الإقناع حسب الأحوال، يرد البيان كما سبق إلى الفهم ثمّ يقايضه بالبلاغة وكأنه يتحدث عن شيء واحد، ثمّ يرهن البلاغة بمراعاة الأحوال مقايضا إياها بالخطابة، فالبيان هو الفهم، من جهة وهو إظهار الحجة من جهة ثانية[3].

لقد ارتبطت الخطابة منذ القدم بالإقناع، يقول أرسطو: "فالريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة[4]، ومن ثمّ يكون مجال بحث الخطابة الإقناع وعلى هذا الأساس ألف أرسطو كتاب الخطابة، الذي تناول فيه الحجاج الخطبي وكل ما تعلق به".

---

[1]- محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 07.

[2]- محمد العمري، البلاغة بين التخيل والتداول: ص 40.

[3]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 38.

[4]- أرسطو طاليس، الخطابة، ص 09.

وبالطبع "لقد لاحظ أرسطو من الوهلة الأولى الدور الهام الذي تقوم به الخطابة داخل المجتمع اليوناني، فقد كانت تعد وسيلة الاتصال والحجاج الجماهيري ضمن المحاكم والمجالس الاستشارية وكذا الاحتفالات"[1]، لأنها ببساطة "فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته.[2]

وإذا عني اليونان وفي مقدمتهم أرسطو بالخطابة، فإن العرب أيضا احتفوا بها في الجاهلية، حيث اقترنت عندهم بالسيادة والريادة إلى السلم وحقن الدماء".[3]

1-2-البعد الإقناعي للبلاغة العربيّة:

لم تعرف البلاغة العربيّة طيلة قرون من الزمن استقرارا في المفهوم، وظلت تتأرجح بين عدة توجهات جعلتها لا تقف عند نسق واحد، بل تعددت أنساقها ودلالاتها، وذلك راجع إلى انصهارها مع علوم أخرى.

من أسباب اضطراب مفهوم البلاغة كونها ملتقى لعلوم مختلفة لكل منها علاقة بالخطاب وحاجة إلى استنطاقه وكشف جانب من أسراره، ولذلك كان حازم القرطاجي يعتبر البلاغة بحق، علما كليا يستند إلى علوم أخرى لا بد من تحقيق الكفاية منها قبل اقتحامه، وهي علوم اللسان بما فيها من نحو واستدلال، ولهذا الاعتبار شبهها بالطب، وشبه المتسرع في معالجة قضاياها بالشخص الذي قضى ليلة في مطالعة كتب الطب، وفي الصباح حرر وصفة لصديقه المريض فعجل برحيله إلى العالم الأخر، وكان حازم ينظر في هذه الصورة إلى علماء الكلام الذي ينطلقون من بعض مبادئ البلاغة للحسم في قضايا عقديه عويصة، غير أنّ الإحاطة بكل العلوم المتداخلة في المجال البلاغي مما تضيق به الأعمار وتنقطع دونه أسباب الأفراد.[4]

إن هذا التداخل الحاصل بين البلاغة وعلوم أخرى من شأنه أنّ يحد من فعالية البلاغة، ويعجل بأجلها، فكثيرا ما جنحت البلاغة العربيّة في عصور خلت إلى تغيير وجهتها من مسار إقناعي

[1]- أرسطو طاليس، الخطابة، ص: 16-17.

[2]- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، نهضة مصر للطباع والنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 1972، ص: 05.

[3]- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 6، د.ت، ص 27.

[4]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص ص 12- 13.

يقوم على الفهم والإفهام إلى مسار جمالي يقوم على الإبلاغ وتحسين الصورة، ويمكن تتبع هذا الأمر بجلاء في الثقافة الحديثة، منذ بداية عصر النهضة إلى الآن، فبعد ازدهار توسع عرفتهما البلاغة القديمة، عربية وغربية على حد سواء، ساهمت ظروف مختلفة في انكماشها، فتخلت عن مناطق واسعة كانت تحت سلطتها، خاصة في مجال الإقناع، وبذلك صارت مجرد لوائح من الصور البديعية منفصلة عن النص والإنسان تحمل معها نصا محنطا، في شكل أمثلة مكرورة مفتعلة، وتخاطب إنسانا لم يعد له وجود في هذا العصر.[1]

ومن خلال كلام العمري هذا ينقلنا إلى معايشة البلاغة التّي لم تعرف – حسب رأيه- توازنا في المفهوم، وبالتالي فإن عملية البحث عن بعد إقناعي لها يظل أمرا مؤجلا لا يمكن الفصل فيه إلّا بالعودة إلى المصطلحات والمفاهيم التّي عرفتها البلاغة قبلا، واقترانها بالصور البديعية التّي جاء بها "ابن المعتز"، فإن أول كلمة تربعت فوق مجموعة من المصطلحات المرصودة لوصف الخطاب من زاوية الخصوصية التعبيرية هي، فيما أعلم كلمة بديع، كان ذلك في القرن الثالث الهجري مع عبد الله بن المعتز [...] وظل مصطلح "بديع" يتغذى من النقد التطبيقي والخصومات الأدبيّة أكثر من أربع قرون، موسعا دائرة نفوذه لتضم كل صور التعبير ووجوهه اللسانية، غير عابئ بمقامات القول ومقاصده، أي بالأبعاد التداولية للخطاب.[2]

إن حصر البلاغة في جانب من الصور البديعية ومحسنات الكلام تغييب للبعد التداولي الحجاجي، وحضور للبعد التخيلي الشعري، وبذلك تكون وجهة البلاغة متمثلة في جانب إمتاعي صرف، لا يقيم وزنا للجانب الإقناعي وذلك ما نوه به "العمري" في سياق حديثه عن البديع وإقصائه لمقامات القول ومقاصده.

ولكن لا أحد من البديعيين خاض في الأبعاد المقامية والحجاجية.[3]

[1]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، ص 13.

[2]- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص ص: 36- 37.

[3]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 14.

إذا ما أردنا أنّ نفتش عن ذلك البعد الإقناعي في بلاغتنا العربيّة، فلا سبيل لنا إلّا بطرق على باب البيان والتبيين لـ "الجاحظ" الذي عدَّ بحق من الأوائل الذّين تفطنوا لآلية الإقناع وما يلعبه من دور بارز في عملية التخاطب، وهذا ما أشار إليه "العمري" في قوله: الكلمة الأخرى التّي تربعت على مجال خطابي متميز وأنتجت لائحة مصطلحية دالة على علم جديد، قبل استقرار مصطلح بلاغة، هي كلمة بيان.

كان ذلك أيضا في القرن الثالث الهجري مع الجاحظ المتوفي سنة 255 هـ، في كتابه البيان والتبيين، "أي بحوالي عقدين قبل ابن معتز"[1]، فلقد اهتم الجاحظ بالبيان وربطه بعمليتي الفهم والإفهام في محالة جادة منه للتأسيس لمشروع بلاغي يضع البيان ممثلا شرعيا للبلاغة، ولا يكون ذلك إلّا إذا تحققت في البيان وظيفة التأثير والإقناع، لقد نص الجاحظ حين تصدى لتعريف البيان على أنه فهم وإفهام، [...] فالأمر يتعلق بإيضاح المعنى القائم في النفس حتى يدركه الأخر، وقد وصل الجاحظ إلى هذا المعنى انطلاقا من الوظيفة الأولى للغة وهي التواصل وكشف الكامن في الصدور، ولذلك فقد مهد لمطابقة البيان بالفهم.[2]

نستنتج من هذا الكلام أنّ الجاحظ لقد أولى عناية كبيرة لبلاغة الخطاب الإقناعي القائمة على الإفهام والتأثير في المتلقي، وذلك من أجل حصول الوفاق بين أطراف الخطاب، وهذا ما أكده "العمري" بقوله: "فقد ظهرت النواة البلاغية الخطابية الأولى التّي توازي كتاب البديع وتعادله في القرن الثالث الهجري هي الأخرى، نقصد بذلك كتاب البيان والتبيين للجاحظ "ت 255 هـ"، وهو كتاب مؤسس للحجاج وبلاغة الخطاب الإقناعي، ولا علاقة له بنقد الشعر كما بين في الفصل المخصص له في كتاب البلاغة العربيّة".

لقد تدرج الكتاب في تعريف البيان من الإفهام إلى التأثير والإقناع حسب المقامات[3].

[1]- محمد العمري، العلاقة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 38.

[2]- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 194.

[3]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 33.

وبهذا يحيلنا محمد العمري إلى الدور الفعال الذي يلعبه المقام في تحديد نوعية الخطاب الذي يلقى، ومن ثمة فإن البعد الإقناعي المصاحب للخطاب يكون على درجة من القوة أو الضعف بحسب اعتبارات المقام الذي نوه به الجاحظ واعتبره أساسا تبنى عليه عملية الفهم والإفهام، "وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"[1].

تظهر مراعاة المقام عند الجاحظ في حديثه عن الخطيب وما يجب أنّ يراعيه أثناء التخاطب، ليظل الإقناع تابعا ومردودا لطبيعة المقام، ويؤكد "العمري" على أنّ طبيعة الإقناع تتحدد حسب المقامات والأحوال، "أن الغاية القصوى عند الجاحظ "في كتاب البيان والتبيين"، هي الخطاب الإقناعي الشفوي، وهو إقناع تقدم فيه الغاية "الإقناع"، على الوسيلة "اللغة"، وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال"[2].

نستخلص مما تم ذكره أنّ البعد الإقناعي حاضر بقوة في بلاغتنا العربيّة، وهذا ما جسده "الجاحظ"، بعمق في مصنفاته وعلى رأسها البيان والتبيين، يقدم الجاحظ تصوره لبلاغة إقناعية قائمة على الصواب اللغوي والتوسط البلاغي في حوار مع المقام[3]، "وهنا يمثل الجاحظ الوجهة الأولى، فتناول إستراتيجية الإقناع في كتابه البيان والتبيين"[4].

1-3- فاعلية الخطاب:

يعد الخطاب منتجا لغويا يرجى منه تحقيق سمة تواصلية بين الأطراف المتحاورة، وتكمن فاعليته في ذلك الأثر الذي يخلفه بعد كل عملية تخاطبية، وقد يكون موضوع واحدا وقد يتعدد، وفي كثير من الأحايين يتغير مسار الخطاب بفضل التفاعل الحاصل بين الأطراف فيغدو مناظرة، "وكانت العادة في الجاهلية وجزء من الصدر الأول للإسلام أنّ يتواجه الخطباء في الأسواق وعلى المنابر

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 7، 1998، ص 136.

[2]- محمد العمري، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، مجلة الدراسات، ع 5، خريف شتاء 1991، ص: 11، نقلا عن: استراتيجيات الخطاب، ج 2، ص: 224.

[3]- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 200.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 223.

للتخاطب في مواطن الاختلاف، ثمّ صارت هناك مقامات دينية وسياسية وعلمية تعرض الحديث من جهة واحدة، فغلب مفهوم "الخطبة"، وحيدة الاتجاه وهذه هي التّي أخذت موضوعا للتنظير البلاغي عند علماء "الخطابة"، ثمّ تدخلت عناصر معرفية في تسمية الصنف التفاعلي "مناظرة"، من تبادل النظر في موضوع"[1].

يفهم من كلام العمري أنّ الخطاب يتخذ عدة أشكال بحسب صنف المقام الذي يطلق فيه، وتبعا لذلك فقد يكون موضوع الخطاب واحدا وقد يتعدد، كما يضيف عنصرا مهما له قدرة كبيرة في إضفاء الحركة والديمومة على روح الخطاب، يتمثل هذا العنصر في التفاعل الذي يحدث بين الأطراف أثناء التخاطب، وإذا بلغ هذا التفاعل درجة من القوة فإنه يتحول إلى مناظرة، والتّي عدها "العمري" خطابة حجاجية "ومنه سنحاول الربط بأحوال المخاطبين، فيمكن تقسيم الخطابة الدينية؛ إلى ثلاثة أصناف وذلك حسب المتلقي وحسب الرسالة الموجهة إليه، فهو إما أنّ يكون خالي الذهن يتقبل المعرفة الملقاة إليه وهذه الحالة اقتضت خطابة تعليمية، وإما أنّ يكون متناسيا لما تعلم غافلا عما ينتظره فيتطلب حاله الحث على العمل والتخويف من العقاب وتلك هي الخطابة الوعيظة، وإما أنّ يكون عالما مخالفا وجاحدا لوجهة نظر الخطيب وفي هذه الحالة لا بد من المحاجة، والبرهنة وتلك الخطابة الحجاجية أو المناظرات"[2].

وهذا النوع الأخير الذي أشار إليه "العمري"، هو ما يدخل ضمن إطار المناظرة، إذ حصرها في الخطاب الحجاجي الذي يعقد بين الطرفين، أحدهما جاحد منكر لما يسمع، فيعمد الأخر إلى مقارعته ومناظرته حتى يعدل عن رأيه أو فكرته، ويورد "عبد اللطيف عادل"، كلاما يصف فيه هذا التخريج الذي أعده "العمري"، في سياق حديثه عن الخطابة الحجاجية "المناظرة".

ومنه حسب التخريج، فإن المناظرة خطابة حجاجية، تسائل جحود المخاطب، الذي يفترض فيه أنّ يكون ملما بالموضوع وعالما به، ولكنه منكر لموقف مناظره بخصوصه، وهكذا فإذا كانت

[1]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 55.

[2]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 36.

الخطابة بشكل مطلق تستهدف الجموع والعوام، فإن المناظرة خطابة خاصة، وهو الأمر الذي تفسره المجالس المغلفة التّي شكلت فضاء المناظرة، بحيث يكون الحضور مقصورا على العلماء والمتخصصين والأدباء... ومن ثم، فالمناظرة خطابة فكرية ومذهبية جسدت الحركة المعرفية التّي سارت بشكل دينامي في المجتمع العربي والإسلامي[1].

إلى جانب المناظرة هناك صنف آخر تفرزه فاعلية الخطاب يتمثل أساسا في القول الشعري الذي يأخذ شكل الخطاب الشعري والذي يقوم بوظيفة شعورية إذ يرتبط بالمشاعر والأحاسيس التّي تعبر عن التجربة الفردية أو الجماعية للأفراد، ويمكن أنّ نعد الأقوال الشعرية أحد أصناف الخطابات التفاعلية، "وإلى جانب هذا الخطاب التفاعلي كان هناك صنف آخر من القول بدا وكأنه يسير في اتجاه واحد، هو القول الشعري، وهو مرتبط بالشعور باعتباره معرفة مبنية على المعاناة الشخصية"[2].

وتكمن فاعلية الخطاب الشعري في تحقيقه لوظيفة تواصلية، وبدونها يفقد حضوره ضمن الإطار العام للخطابات، "ولا بد من حضور الوظيفة التواصلية وإلا فقد الشعر انتمائه للغة، وهذا التصور يمكن أنّ يعبر عنه بمفاهيم الهيمنة عند ياكبسون، فالخطاب الشعري خطاب لغوي تواصلي تهيمن فيه الوظيفة الشعرية دون أنّ تغيب الوظيفة التواصلية"[3].

وبناء على ذلك نشير إلى أنّ فاعلية الخطاب لا تتوقف عند خطاب واحد شعريا كان أم نثريا، بل تتعدد الخطابات فكل خطاب له جملة من الأقوال تميزه عن أي خطاب آخر، "وهكذا أصبحنا أمام استعمالات واسعة لكلمة خطاب دالة على الكلام من أسفل السلم إلى أعلاه، مشيرة إلى بنائه أو محتواه: الخطاب الشعري، الخطاب التداولي، الخطاب الديني، الخطاب الفلسفي، الخطاب

[1]– عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2013، ص: 150.

[2]– محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 55.

[3]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر، ص: 37.

الروائي، الخطاب المسرحي، الخطاب السينمائي، الخطاب الإشهاري، وصولا إلى خطاب الصورة وخطاب المقدمات...إلخ"[1].

وبذلك تتضح معالم الخطاب، ليشمل جميع المجالات والتخصصات، وقد يعبر عنه بالحوار، كونه يعقد بين أطراف متحاورة في قضية ما، وهذا ما دفع د "العمري" إلى اتخاذ الحوار شكلا من أشكال الخطاب.

"الحوار، في معناه العام، خطاب "أو التخاطب" يطلب الإقناع بقضية أو فعل ما، وفي معناه الخاص: كل خطاب يتوخى تجاوب متلق معين، ويأخذ رده بعين الاعتبار من أجل تكوين موقف في نقطة غير معنية سلفا بين المتحاورين، قريبة من هذا الطرف أو ذاك، أو في منتصف الطريق بينهما، صورته المثلى مناقشة بين طرفين أو أكثر، وقد يكون تعليقا بعد حين على صفحات الجرائد أو غيرها من وسائط الاتصال التّي تتيح فرصة للتعليق على رأي الآخرين وقد يكون في أي صيغة أخرى".[2]

ومما ذكر نخلص إلى أنّ محمد العمري أولى عناية فائقة بالخطاب، مبينا الأشكال التّي يتخذها "مناظرة، حوال، أقوال شعرية..."، وهنا تكمن وترتسم فاعلية الخطاب.

ثانيا: أسس بلاغة الخطاب الإقناعي

مهما تعددت أصناف وألوان الخطابة فالغاية التّي ترمي إليها هي الإقناع، الذي صار آلية عليها كثيرا في أي خطابة كانت، ومن هنا سنتطرق إلى الخطابة الدينية التّي شاعت كثيرا مع ظهور الإسلام، فكانت أحد العوامل الهامة التّي ساهمت في نشره، وتبيين الحق من الباطل بحيث وصلت الخطابة الدينية في العصر الإسلامي إلى أرقى ما وصلت إليه، ولن تسعد العربيّة بكثرة الخطباء ووفرة الخطب مثل ما سعدت به في العصر الأول إذ كان القوم ورؤسائهم عرب خلص يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

[1]– محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 57.

[2]– محمد العمري، دائرة الحوار ومزالق العنف، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 2002، نقلا عن: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 59.

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم عن التجار العمامة والاشتمال بإرداء واختصار المختصرة.[1]

لقد كانت الخطابة في هذا العصر سلسلة القياد على حلفائه وزعمائه لفطرتهم العربيّة ومحلهم من الفصاحة والبيان وانطباعهم على أساليب القرآن واتساع مداركهم[2]، حتى أضحت صناعة يشتغل بها الكثير من الخطباء، وانقسمت إلى أصناف عديدة، وهذا الانقسام يعود أساسا إلى المقام الذي أطلقت فيه الخطبة وظهور هذه الأصناف وتطورها بتطور المجتمع العربي الإسلامي، وسنحاول ما أمكن ذلك الربط بأحوال المخاطبيه، فيمكن تقسيم الخطابة الدينية إلى ثلاثة أصناف وذلك حسب المتلقي وحسب الرسالة الموجهة إليه، فهو إما أنّ يكون خالي الذهني ستقبل المعرفة الملقاة إليه وهذه الحالة اقتضت خطابة تعليمية، وإما أنّ يكون متناسيا لما تعلم غافلا عما ينتظره فيتطلب حاله الحث على العمل والتنويف من العقاب وتلك هي الخطابة الوعظية.

"إما أنّ يكون عالما مخالفا وجاحدا لوجهة نظر الخطيب وفي هذه الحالة لا بد من المحاجة، والبرهنة وتلك الحجاجية أو المناظرات".[3]

1-1- الخطابة الدينية التعليمية:

"يفترض أنّ يكون المرسل والمتلقي فيها حالة عطاء وتقبل، فإن تحقق ذلك كان الخطاب ابتدائيا "منطقا وأسلوبا"، وذلك أظهر في الرسائل منه في الخطب، وإذا ما أحاطت بالخطيب ظروف خاصة صاحبت الابتدالية عناصر التأكيد والإقناع فصارت الخطبة تتراوح بين الإخبار والتأكيد الإنشائي، وهذا هو الطابع الغالب عليها".[4]

"وكلما بحثت هذه الخطابة عن عناصر المنطق والحجاج أو اهتمت بتحصيل الأسلوب، بل تستثمر عناصر التأكيد والأمر والنهي والعرض وغيرها من أدوات الجملة الإنشائية"[5]، "وقلما يسلك

---

[1]- **المختصرة**: كالسوط، ما اختصر الإنسان، صحاح الجوهري، مادة "ح.ص.ر"، ج 2، ص: 646.

[2]- محمد عبد القادر أحمد، دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، ص: 56.

[3]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 36.

[4]- المرجع نفسه، ص: 36.

[5]- المرجع نفسه، ص: 36.

الخطباء في الخطابة التعليمية طريق السرد البارد للأحكام بل لجئوا ودائما إلى التأكيد والحث على العمل، وبذلك تقترب الخطابة التعليمية من الوعظية".

- **مقامات الخطابة الدينية:**

- **مقام التعليم:**

المخاطب فيها خالي الذهن، ويكون في حالة تقبل، وهي تتراوح بين الإخبار والتأكيد مثل وصية أبي بكر لأسامة وجيشه؟ والتّي مطلعها "أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني... اندفعوا باسم الله"[1]، ولعل الغرض من هذه الوصايا والخطب هو التأثير في المخاطب ودفعه إلى تنفيذ فحواها.

وأول مقام تعرض له "العمري" في مطلع حديثه عن الخطابة الدينية مقام التعليم الذي يراه مقاما يحصل فيه وفاق بين الطرفين: طرف ملق وآخر متلق، وذلك لما يكون بينهما من الرضا والقبول بحكم العلاقة التّي تجمع بينهما، علاقة تبنى بين الأسلوبين الخبري والإنشائي، وهنا لا حاجة إلى حضور الحجاج، لأن الخطيب ليس في مقام المحاججة أو المقارعة، بقدر ما هو في مقام توجيهي إرشادي، ويفترض أنّ يكون المرسل والمتلقي فيها في حالة عطاء وتقبل، فإن تحقق ذلك كان الخطاب ابتدائيا "منطقا وأسلوبا"، وذلك أظهر في الرسائل منه في الخطب، وإذا أحاطت بالخطيب ظروف خاصة صاحبت الابتدائية عناصر تأكيد وإقناع، فصارت الخطبة تتراوح بين الإخبار والتأكيد الإنشائي، وهذا هو الطابع الغالب عليها، وقلما بحثت هذه الخطابة عن عناصر المنطق والحجاج أو اهتمت بتجميل الأسلوب، بل تستثمر عناصر التأكيد والأمر والنهي والعرض وغيرها من أدوات الجملة الإنشائية[2].

وقد قارن بين محتواها وبين محتوى خطبة حجة الوداع للنبي صلى الله عليه وسلم.

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 37.

[2]- المرجع نفسه، ص: 36.

- **مقام الوعظ:**

إذا ما كان مقام التعليم يراد به حصول المخاطب على قدر معين من المعارف التّي تجد قبولا عنده في تلقيها والتفاعل معها، فإن مقام الوعظ يتجه إلى المخاطب بصفة قصدية لإخراجه من دائرة الغفلة والسهو والنسيان ومن ثمّ حثه على العمل ترغيبا في الثواب وترهيبا من العقاب، "ولذلك مقام الوعظ في أول الأمر على المزاوجة بين الوعد والوعيد كما هو الشأن في بعض مواعظ علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي يذكر بعذاب الآخرة حتى إذا رأى تغيير أحوال مستمعيه وخوفهم ذكرهم بالنعيم"[1].

وعند تناوله لمقام الوعظ حيث المخاطب هنا موضوع الغافل المقصر فيما يجب عليه، وتوضيحا منه لهذه الرؤية قارن بين العصر الأول "انشغال المسلمين بالإسلام"، وبين عصر بني أمية عصر الأحزاب والإشغال بالصراع "الدنيوي"، وقد فسر سر امتزاج الخطب الذي يرجعه في الغالب إلى إفلات المستمع[2]، نتيجة الصراع الديني والسياسي ومن الخطب التّي استدل بها خطبة الحسن البصري في الحجاج التّي قال فيها: "يا ابن آدم، بع دنياك بآخرتك ترحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا... وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون"[3].

ويشير العمري إلى أنّ هذا الطابع "الوعد والوعيد"، الذي غلب على المقام الوعظي في البدايات الأولى لظهور الإسلام لم يعرف الاستقرار، فمع توسع رقعة الإسلام مطية إلى الآخرة، وهذا ما نستكشفه في خطبهم التّي يدعون الناس فيها إلى الزهد في فهم الدنيا لأنها أعراض زائلة، والتشبث بنعم الآخرة إنّ الخطابة الوعظية موضوع موضع الغافل المقصر فيما يجب عليه.

"والقابل الذي عنده نوع من غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"[4].

---

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 39.

[2]- المرجع نفسه، ص: 39.

[3]- المرجع نفسه، ص: 40.

[4]- المرجع نفسه، ص: 39.

ولا شك أنّ هذه الغفلة قد اختلفت بين العصر الأول الذي كان المسلمون منشغلين فيه بالإسلام، "كان الإسلام كله طرفا في الصراع".

لذلك قام الوعظ في أول الأمر على المزاوجة بين الوعد والوعيد كما هو الشأن في بعض مواعظ علي بن أبي طالب الذي يذكر بعذاب الآخرة حتى إذا رأى تغير أحوال مستمعيه وخوفهم ذكرهم بالنعيم...

غير أنّ الخطابة الوعظية لم تحتفظ على هذا التوازن إذ ما أنّ توسعت الإمبراطورية الإسلامية وتقلب الاتجاه إلى الحياة وشؤونها حتى ظهر رد فعل طائفة من العباد مالوا إلى التقشف والنقمة على الحياة وروادها، فأصبحت العلاقة بين المرسل والمتلقي متوترة يسودها الاتهام ويطبعها التشاؤم[1].

وبهذا الكلام يكون العمري قد حدد الأصناف التّي تقوم عليها الخطابة الدينية، وجدير بالذكر أنّ كل صنف من الأصناف المذكورة آنفا "التعليمية، الوعظية، الحجاجية" يرتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة القول الذي يمارس سلطة على الخطيب في انتقاء سلسلة من الأقوال والملفوظات التّي تصلح أنّ تقال في خطبة دون غيرها، فلكل خطبة جنس مخصوص من الكلم، وذلك ما حاول "العمري"، توضيحه في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي"، من خلال استلهام آراء "أرسطو" في تقسيمه للخطابة وإسقاطها على نماذج من الخطابة العربيّة في "القرن الأول".

فقد حاول محمد العمري تطبيق نظرية الإقناع عند "أرسطو" على نماذج من خطابة القرن الهجري الأول، متبعا في ذلك تقسيم أرسطو الثلاثي لعناصر الخطابة وهي: وسائل الإقناع أو البراهين، والأسلوب أو البناء اللغوي، وترتيب أجزاء القول، بيد أنه صنف الخطابة إلى دينية وسياسية، وذكر ما يندرج تحت كل صنف مثل: الخطابة الوعظية والمناظرات المذهبية وحوار الأنداد والراعي مع الرعية، كما عرض لكيفية توظيف بعض الشواهد الجاهرة، مثل آيات القرآن الكريم والأحاديث والأمثال[2].

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 40.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 225.

خير وأبقى "غير أنّ الخطابة الوعظية لم تحتفظ على هذا التوازن إذا ما أنّ توسعت الإمبراطورية الإسلامية وتغلب الاتجاه إلى الحياة وشؤونها حتى ظهر رد فعل طائفة من العباد مالوا إلى التشقف والنقمة على الحياة وروادها، فأصبحت العلاقة بين المرسل والمتلقي متوترة يسودها الاتهام ويطبعها التشاؤم [...] وبذلك أصبح المعنى الملح على الخطباء والفكرة الجوهرية في خطبهم هي زوال الدنيا وخداعها، وبقاء الآخرة وضرورة التزود منها، مع الإكثار من ذكر فساد أحوال الناس والتذكير بأحوال الأمم الماضية".[1]

- مقام المناظرات المذهبية:

إن مقام المناظرات هو مقام يشهد حضورا بارزا وفعالا للحجاج وآلياته، إذ يعد هذا الأخير مطلبا ملحا في الصراعات المذهبية والطائفية ولقد ظل الحجاج باستمرار محركا هاما لمستويات الحوار وتجاذب أطراف، وظل عنصرا منشئا مفسرا للصراعات أو التوافقات بين المتخاطبين طيلة أطوار الحوار.[2]

وإلى جانب الحجاج تستند المناظرات على طرق البرهنة وعناصر التأويل التّي يتطلب توافرها لدى المتلقي، "فإذا كانت تتجلى كفاءة المرسل التداولية في صناعة الخطاب، فإنها تتجلى الكفاءة التداولية للمرسل إليه عند تأويل الخطاب للوصول إلى مقاصد المرسل وإدراك حججه".[3]

وفي هذا المقام يقول العمري: "إن المخاطب في المناظرات ينتمي إلى الصنف الثالث من المخاطبين حسب تصنيف ابن رشد، أي أنه من المقتدرين على التأويل الذي يتطلب إقناعهم برهنة "وحكمة"، وهو من جهة أخرى موضوع المنكر الجاحد، حسب تصنيف البلاغة العربيّة لمن يلقي إليهم الخبر، فاقتضى الأمر أنّ يقصد على الحجج العقلية والنقلية حسب نوع الثقافة والإيديولوجية

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 40.

[2]- محمد نظيف، الحوار وخصائص التواصلي، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2010م، ص ص: 196- 197.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ص: 257- 258.

التّي يحملها المخاطب: الميل إلى العقل والمنطق الصرف، أو توظيفه في تأويل النصوص الدينية واستثمار الوقائع".[1]

ومن خلال ما تقدم ذكره يمكن أنّ نمثل للمقامات الدينية بالمخطط الآتي:

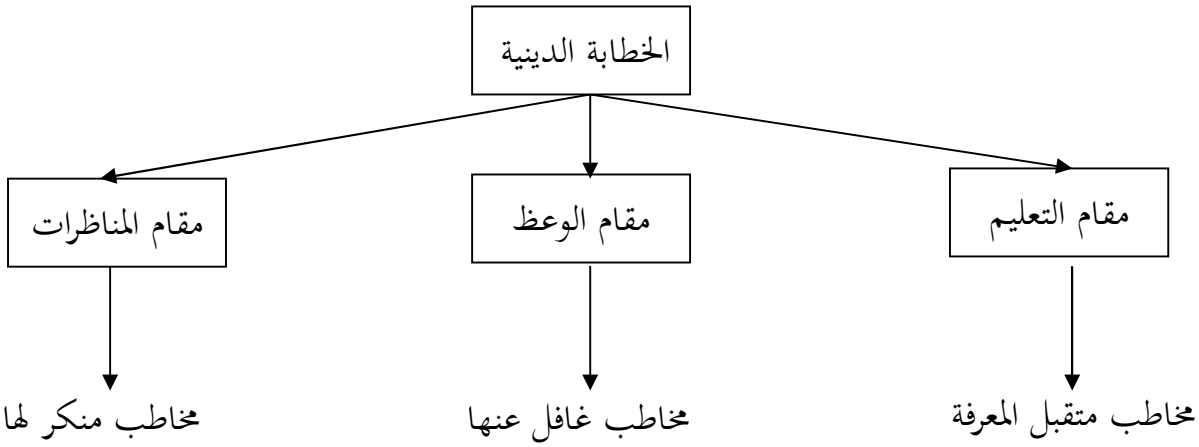

2-1- الخطابة السياسية:

ارتبطت الخطابة السياسية بجملة من الخطب التّي كان القصد منها في بادئ الأمر "البدايات الأولى لظهور الرسالة"، تعزيز شوكة الإسلام، لذا كان من الطبيعي أنّ تكون هاته الخطب ذات توجه ديني، وسرعان ما تم العدول عن ذلك ليتم الانتقال إلى الخطابة السياسية التّي وجدت الأجواء المناسبة في ظل الصراع القائم حول السلطة في بيئة الإسلام، وكانت محدودة إذا ما قورنت بسابقتها وقد اتخذت مظاهر متعددة، فكان الخليفة إذا بويع قام في المسجد يبين للمسلمين خطته ويوضح لهم سياسته[2]، مثل ما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، بعد البيعة العامة، "الخطب المرتبطة ببناء الدولة كانت أول أمرها أميل للخطابة الدينية لطبيعة الدولة الإسلامية، وهي تعليمية وتحميسية موجهة إلى الجنود الفاتحين في الغالب، وكانت الرسائل المتبادلة بين الخلفاء وقواد الجند هي الوسيلة الأولى

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 41.

[2]- محمد عبد القادر أحمد، دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، ص: 56.

المستعملة في علاج القضايا السياسية والعسكرية التّي سير الفتوح، وإنما برزت ملامح الخطابة السياسية أولا في الصراع حول الحكم وكانت بذورها الأولى بعد موت الرسول مباشرة"[1].

"بعد وفاة الرسول، وما استنتج ذلك من صراع حول الخلافة وانشعاب السب بين المسلمين حتى انظموا في فرق متنازعة، لعبت الخطابة والمناظرة دورا بارزا في التدافع بين هذه الفرق، لذلك ستتخذ المناظرة خلال هذه الفترة وطوال العصر الأموي، طابعا دينيا سياسيا"[2].

ويمكننا أنّ نستخلص من كلام العمري فكرة جوهرية غاية في الأهمية، تؤسس لمنطقة مشتركة يتقاطع فيها ما هو سياسي مع ما هو ديني، إذ يعد هذا الأخير دعامة يرتكز عليها رجال الدولة في توطيد الحكم وتقوية مواقفهم السياسة.

"ويبدوا هذا واضحا وجليا حينما تدور المناظرة في مجلس السلطان، حيث يحضر ممثل السلطة السياسية، ويفضل أنّ تثار في مجلسه الموضوعات الدينية والعقدية لأنها تمس الحياة الاجتماعية وتركز على الصراع الديني الذي يشكل أساس الصراع الاجتماعي الذي يشغل السلطة لتدعيم مركزها السياسي"[3].

ويقترح العمري تصنيفين للخطابة السياسية: تصنيف أول يكون الخطاب فيه حواران بين الأنداد، وبذلك يسعى كل طرف إلى ترجيح كفة الحوار لصالحه خدمة لموقفه السياسي، وتعزيزا لرؤيته إزاء الموضوع محل النقاش والمناظرة.

وبهذا فالمناظرة مدعوة إلى عقد أسلوب لغوي معين، وتراكيب خاصة تتلاءم مع الجو الثقافي الذي يحكم المكان أو المجلس حيث تدور المناظرة، فالمؤسسات الاجتماعية والانتماء الاجتماعي للحاضرين في المناظرة يؤثران بشكل أو آخر في بيئتها وجريان الحجاج فيها وإذا كان المتحاورون أبطال

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 46.

[2]- عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 138.

[3]- مجموعة من المؤلفين، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 1072.

المناظرات ينتمون دائما إلى طبقة المفكرين والعلماء، فإن أسلوبهم في المناظرة ليس واحدا في كل الحالات، بل يختلف من مجلس إلى آخر[1].

وتصنيف ثان يكون الخطاب فيه حوارا بين الراعي والرعية، حيث يحرص الراعي على إرضاء الرعية لكسب ثقتهم، ولا يكون ذلك إلّا باللفظ اللين، وإقحام الجانب الديني لاستمالة القلوب وجلب التأييد، وبذلك ترتسم كبيعة الحوار في الخطابة السياسة بين البعدين السابقين: الحواريين الأنداد، الحوار بين الراعي والرعية.

- **مقامات الخطابة السياسية:** وهي التّي تتطرق لمواضيع شتى منها:

- الخطب المتعلقة ببناء الدولة:

والتّي في بدايتها كانت أميل إلى الدينية لطبيعة الدعوة الإسلامية، ومعالمها الأولى برزت بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم يوم وقف الفرقاء في سفينة بني ساعدة يحتج كل لأسبقيته في الخلافة، وبعد مقتل عمر وعثمان وظهور الأحزاب السياسية[2].

- خطب الصراع حول الخلافة والحكم: وقد قسم الخطابة السياسية إلى صنفين حسب العلاقة بين المتحاورين:

أ- الحوار بين الأنداد:

دار أغلب هذا الحوار حول قضية الخلافة، وتضمن النصح كخطبة أبي بكر الصديق يوم السقيفة، رفض الخلاف بين المهاجرين والأنصار في قوله: "فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تقتاتون بمشورة، ولا تقضى دونكم الأمور"[3]، ومن مميزات هذا النوع من الخطب: اعتماد المنطق والحجة – البعد عن المدح– تجنب الأسلوب المتكلف.

[1]– مجموعة من المؤلفين، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص: 1072.

[2]– محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، 51– 52.

[3]– المرجع نفسه، ص: 54.

ب- **الحوار بين الراعي والرعية:**

كالذي دار بين عثمان والثوار "حاكم ومحكوم"، وبين علي والخوارج حيث تطلب الحجة والإقناع، وبين الأمويين في خطب الحجاج وزياد بن أبيه...[1].

- **الرؤية العامة في الخطابة الدينية والسياسة:** حيث تعرض فيه لجملة من المحاور التّي تناولناها وتتبعناها بالشرح:

- **الدعوة إلى الطاعة:** طاعة الله "الوعاظ"، أولى الأمر "خطباء الدولة، الوفاء للجماعة والحزب "الشيعة"[2].

- **الدعوة إلى العصيان:** الشيعة الخوارج، "ويلازم ذلك ذكر مساوئ الخصوم والحجة القائم عليهم".

- **الوعد:** بالجنة عند خطباء الخوارج وبالعطاء الجزيل عند الأمويين.

"بالعطاء الجزيل وحسن المعاملة عند خطباء الدولة الأموية خاصة، جزاء الطاعة"[3].

- **التهديد والوعيد:**

- "بعذاب الله ونقمته عند الوعاظ وخطباء الشيعة والخوارج مع بيان بشاعة الصيان.

- بالحرمان والقتل عند خطباء بني أمية خاصة مع تشخيص العقاب، وتسود بصفة عامة"[4].

"كما أنّ الضربات التّي تلقاها الخوارج فضدت شوكتهم فاتجهوا بنشاطهم بعيدا عند مقر الخلافة ولم يصلنا من خطبهم في هذه الفتق غير خطب أبي حمزة، والواقع أننا إذا استثنينا هذه الخطب جاز القول لنا بأن الخطابة مالت إلى الركود وتكرار النماذج السابقة وفسحت المجال للخطاب المكتوب"[5]، وهذا ما نراه في المخطط الآتي[6]:

---

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 54- 55.

[2]- المرجع نفسه، ص: 51.

[3]- المرجع نفسه، ص: 57.

[4]- المرجع نفسه، ص: 58.

[5]- المرجع نفسه، ص: 54.

[6]- المرجع نفسه: ص: 56.

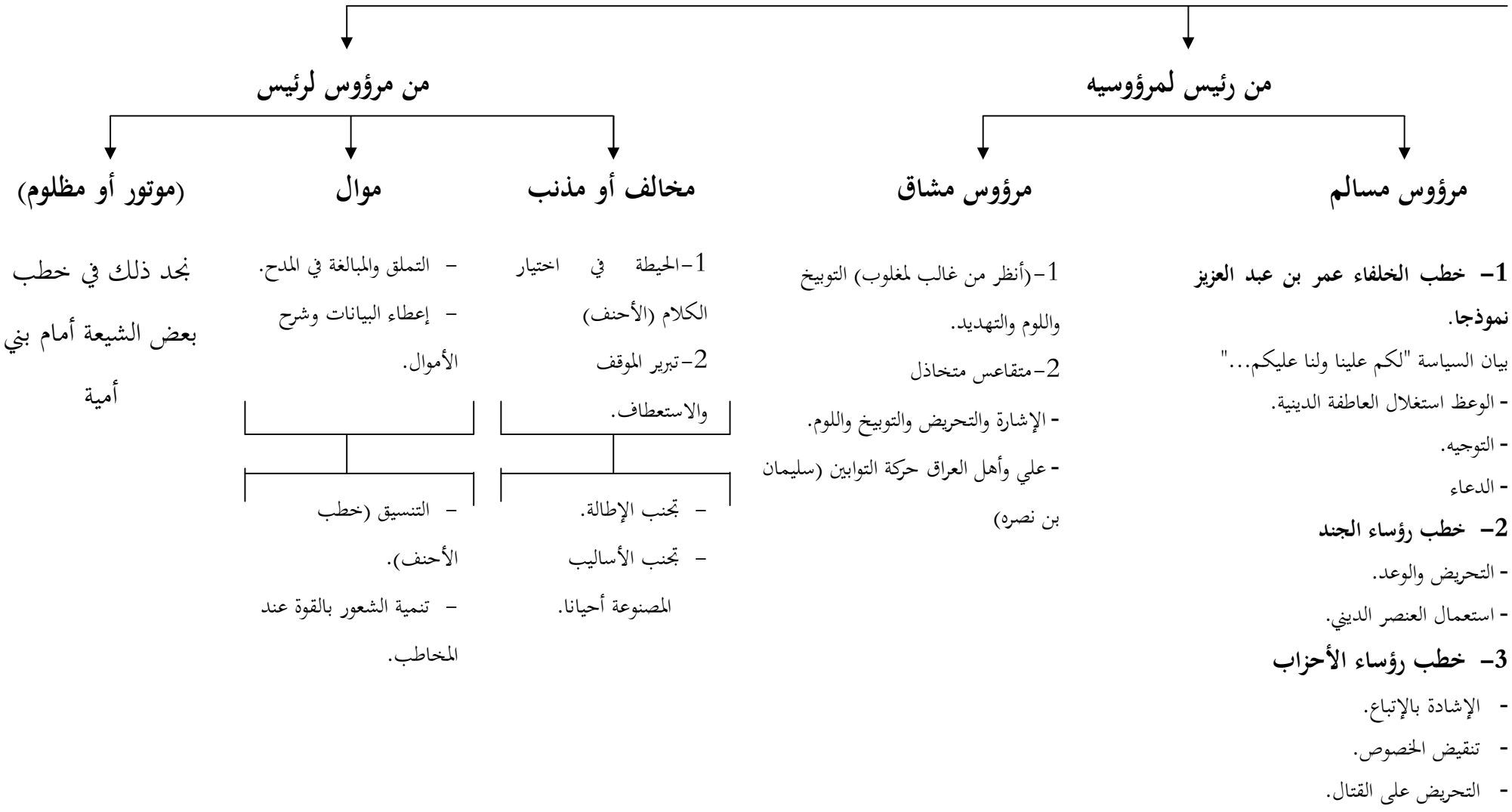
من رئيس لمرؤوسيه
من مرؤوس لرئيس
مرؤوس مسالم
مرؤوس مشاق
مخالف أو مذنب
موال
(موتور أو مظلوم)
1- خطب الخلفاء عمر بن عبد العزيز نموذجا.
بيان السياسة "لكم علينا ولنا عليكم..."
- الوعظ استغلال العاطفة الدينية.
- التوجيه.
- الدعاء
2- خطب رؤساء الجند
- التحريض والوعد.
- استعمال العنصر الديني.
3- خطب رؤساء الأحزاب
- الإشادة بالإتباع.
- تنقيض الخصوص.
- التحريض على القتال.
1-(أنظر من غالب لمغلوب) التوبيخ واللوم والتهديد.
2-متقاعس متخاذل
- الإشارة والتحريض والتوبيخ واللوم.
- علي وأهل العراق حركة التوابين (سليمان بن نصره)
1-الحيطة في اختيار الكلام (الأحنف)
2-تبرير الموقف والاستعطاف.
- تجنب الإطالة.
- تجنب الأساليب المصنوعة أحيانا.
- التملق والمبالغة في المدح.
- إعطاء البيانات وشرح الأموال.
- التنسيق (خطب الأحنف).
- تنمية الشعور بالقوة عند المخاطب.
نجد ذلك في خطب بعض الشيعة أمام بني أمية

مراعاة المقام في الخطابة السياسية:

الخطابة السياسية

بين الأنداد

النصح	المشاورات	المناظرات
(الرسول في أول أمره: "وأنذر عشيرتك الأقربين")	داخل الأحزاب (بين الخوارج في شأن ابن الزبير)، (بين الشيعة عند عزم الحسين على السفر إلى الكوفة)	(بين الأحزاب مناظرة الخوارج وابن عباس وعلي وعمر بن عبد العزيز)

وفي هذه الأحوال كلها يميل الخطباء إلى الهدوء ومحاولة الاقناع بالحجة والمنطق، ويختفي عنصر التفاخر وإظهار القوة، كما يتحاشى الخطباء فيما رأيت، المبالغة في تجميل الأسلوب.

وفي هذا العنصر يمكن ادخال الخطابة الجتماعية فهي بين أطراف تجمعها علاقات اختيارية وعلاقات المشاركة كما يدخل هنا كذلك جانب من الخطابة الدينية، في حين يدخل جانب منها في مقام الرئيس والمرؤوس

من غالب لمغلوب

مغلوب مشتاق (عامة الشعب). - التهديد والوعيد مع الإغراء أحيانا "الحجاج وزيادة وغيرهم من ولاة بني أمية مع أهل العراق". 1- اعتماد صور الارهاب... 2-الاتهام وإقامة الحجة عليهم. 3-التخويف من عواقب العودة إلى الفتنة. وتعتبر الخطب في هذه المناسبات من أنضج الخطب فنيا وهي مليئة بالمواد الشعرية لأنها تمتاح من شعر الحماسة ولأن أصحابها من البلغاء مثل الحجاج، ولأنهم لا يحتاطون في القول على سجيتهم أمام جمهور مغلوب على أمره	مهزوم في حرب 1- تبرير الإيقاع بالخصم إذا كانت له مكانة احترام عند الجمهور. - الحجاج بعد قتل ابن الزبير. - أبو حمزة بعد الإيقاع بأهل المدينة. - علي بعد الجمل. 2- التشفي من المهزومين، بين الخوارج وغيرهم، وبين أصحاب العصبيات القبلية. يعتبر الجانب الأول من الجوانب التي اعتمدت على الحجج التاريخية والمنطقية في حين يدخل الجانب الثاني ضمن التهاجي والسباب.

1-3- مقامات الخطابة الاجتماعية وشؤون الحياة:

- تنظيم المجتمع:

"خطب في موضوعات اجتماعية تتناول العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع مثل خطب الإملاك، والصلح والمخاصمات القضائية وهي في أغلبها ذات طبيعة موضوعية"[1].

- في المشاركة الوجدانية:

"هي خطب ذات طبيعة وجدانية هدفها المشاركة والإشراك في المسرات والأحزان كالتغذية والتهنئة ووصف المشاهد والبلاد، ويكون المتلقي في الصنف الأول حكما ينظر في حجج المتخاصمين بحياد يعتمدان الحجة المقنعة، والأحوال المؤثرة"[2].

ثالثا: صور الحجاج

1-1- القياس الخطابي:

يعد القياس آلية من الآليات التّي تستعمل في شتى العلوم والمجالات، وذلك للوصول إلى حقائق ألأشياء، أو اكتشاف خاصية من الخصائص التّي تميز علما من العلوم، أما في المجال البلاغي الخطابي فإن كلمة "القياس" لا يمكن حصرها في قياس واحد، وذلك لتباين الخطابات من جهة واختلاف طرق البرهنة والاستدلال من جهة ثانية، وعلى هذا اهتم محمد العمري "بالقياس الخطابي" الذي يراه قياسا فضفاضا.

لقد جمع أرسطو مجموعة من البراهين الخطابية تحت ما ترجم بالقياس المضمر، أو Enthyméme وهو لا يعني (حسب قول هافي Havet)، كما هو الشأن عندنا، مجرد عرض خارجي

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 59.

[2]- المرجع نفسه، ص: 59.

في الاستدلال مرجعه إضمار إحدى المقدمتين فحسب، فهذا سطحي ولا أهمية له[1]، وقد استدل بالقياس الخطابي لأنه يقوم على الاحتمالات وعلى الرأي[2].

وبعد هذا الطرح النظري أفرد عنوانا تطبيقيا على ما جاء فيه سماه بنماذج من الأقسية الخطابية، التعارض والتضاد، ومن الأمثلة التّي ساقها: "قال الحجاج: زعمتم أني ساحر، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ** ﴾[3]، وقد أفلحت"[4].

وتخريجه: لا يفلح الساحر ⟵ أفلح الحجاج ⟵ إذن الحجاج ليس ساحرا، أوهم كاذبون وهكذا مع الاسم الأكبر..." زعمتم أني أعلم الاسم الأكبر؟

وتخريجه: من يعلم الاسم الأكبر لا يغلب، تعترفون أنني أعلم الاسم الأكبر.

إذن: أنتم مخطئون في مقاتلتي.

كما ينوع من ألأمثلة فمن الحجاج إلى الأحنف بن قيس لمعاوية: "أخافك أنّ صدقتك، وأخاف الله أنّ كذبتك"[5] ثمّ من القرآن نحو قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[6] وهذه الآية من أشهر القياسات المضمرة في القرآن ما دعوه قياس الخلق وهو "إثبات ألأمر بالبطلان" ومنه يورد "العمري" جملة من الأقسية نمثلها بالتخطيط التالي:

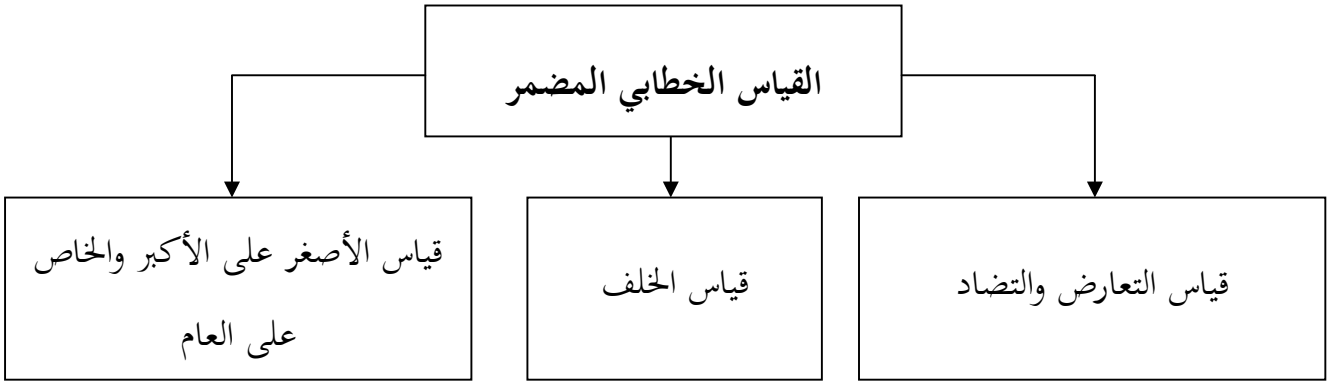

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 76. نقلا عن: Havet (E) Etude sur la shotorique p 34.

[2]- ينظر: محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 76.

[3]- سورة طه، الآية 69.

[4]- ينظر: محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 81.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 79.

[6]- سورة الأنبياء، الآية 22.

وما أراد العمري أنّ يبينه هو أنّ مصطلح "القياس" عرف استعمالا واسعا في الخطابة العربيّة بمختلف أنماطه وأشكاله "قصارى وما يزيد بيانه بعد هو أنّ الخطابة العربيّة استعملت أقسية عقلية متنوعة يدخل أغلبها فليما أحصاه أرسطو وذلك حتى قبل اتصال العرب بالفلسفة اليونانية اتصال ترجمة ودراسة تأثر، وهذه البراهين والأقسية تعود إلى طبيعة العقل الإنساني ومبادئه"[1].

1-2- المثل:

يعتبر المثل وسيلة من الوسائل التّي يجنح إليها الخطيب في تعزيز آرائه، والتدليل على صحة ما يقول، وبذلك يكتسب المثل قيمة حجاجية كبرى في قيام جل الخطابات التّي تقوم أساسا على صور المشابهة بين حالتّي أو أكثر، وقد صور "العمري" المثل وعدة صورة من صور الحجاج، كما أشار "أرسطو" وتصنيفه إياه إلى صنفين: تاريخي ومصطنع.

يقوم المثل في الخطابة مقام الاستقراء في المنطق، أو المثل هو استقراء بلاغي، والمثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتّي ن في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية 'حديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها، وهو عند أرسطو تاريخي ومصطنع[2].

وبهذا الكلام الذي ساقه "العمري" يكون قد أحالنا إلى البعد الحجاجي للمثل في كونه لا يقف عند لون واحد فحسب، بل تتعدد ألوانه وصوره تبعا لتغيير المقامات، ليراد به الوصول نهاية إلى نتيجة مشابهة للحالة التّي مثل لها الخطيب "فالتمثيل –إذن- وسيلة حجاجية ذات تأثيرات في المتلقي من جهات عدة فهو خطاب للعقل، بوصفه ينقل العقل من المعنى في الحالة التصويرية العادية إلى الحالة التصديقية، لأنه بمثابة إحضار المعنى المدعى ليشاهد كما هو في الواقع،ى فكأنه –والحالة هذه- يقول لك هذا هو أنظر إليه"[3].

وينقسم المصطنع إلى:

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 85.

[2]- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 68.

[3]- الحجاج، مفهومه ومجالاته، ج 1، ص: 179.

1.مثل بالتشابه كالاستشهاد.

2.مثل خرافي شخصياته من الحيوانات (القصص)، والتاريخي هو الأغلب في الاستعمال عند أرسطو، "كما لو قال قائل أنه ينبغي للملك أنّ يستعد ولا يخلي العدو وخول مصر فإن داريوس أيضا في تلك الغزاة لم يتقدم دون أنّ احتوى على مصر فلما حواها دلف ... والآن أيضا أنّ أخذ العدو مصر مضى قدما فليس ينبغي للملك أنّ يرخص في ذلك"[1].

ويقول الزركشي: "يستعمل لإخراج ما لا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة وما لم تجربه العادة، وما لا قوة له من الصفة إلى ما له قوة"[2].

ويقول الرازي أنّ المثل يؤثر في النفس مثل تأثير الدليل[3].

وفي القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[4].

ومن أمثله المثل التاريخي في الخطبة في القرن الأول الهجري، وخاصته حينما يضطر الخطيب إلى تبرير أمر وضعية محرجة، كخطبة الحجاج بعد قتله لابن الزبير في الحرم وجزع الناس لذلك يقول الحجاج: "ألا ابن الزبير كن من أجبار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها، وخلع طاعة الله، استكن بحرم الله ولو كان شيء مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة، لأن الله تعالى خلقه بيده واسجد له الملائكة، وأباحه جنته، فلما عصاه أخرجه منها بخطيئة وآدم أكرم على الله من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة"[5].

محاولة من الحجاج إلى تخفيف من روع الناس لجأ إلى قصة آدم وضرب به المثل.

[1]- أرسطو طاليس، الخطابة، الكتاب 02، الفصل 30، ص: 139.

[2]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل، عيسى الحلبي، القاهرة، 1957، ج1، ص: 486.

[3]- محمد تومي، الجدل في القرآن الكريم، الشركة التونسية، تونس، 1980، ص: ص 232-233.

[4]- سورة الحشر، الآية 11.

[5]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 72.

وهذا ما دفع بـ: العمري إلى إعار المثل ركيزة أساسية في قيام الخطابة، وقد يتسع معناه ليشمل صور البيان. "والواقع أنّ المثل يعتبر دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحققه من وإذا أخذناه بمعناه الواسع الذي يشمل التشبيه والاستعارة، ولن نفعل ذلك، صار أهم دعائم هذه البلاغة"[1].

ويمكن أنّ نمثل الأقسام المثل التّي تناولها "محمد العمري" بالتخطيط الآتي:

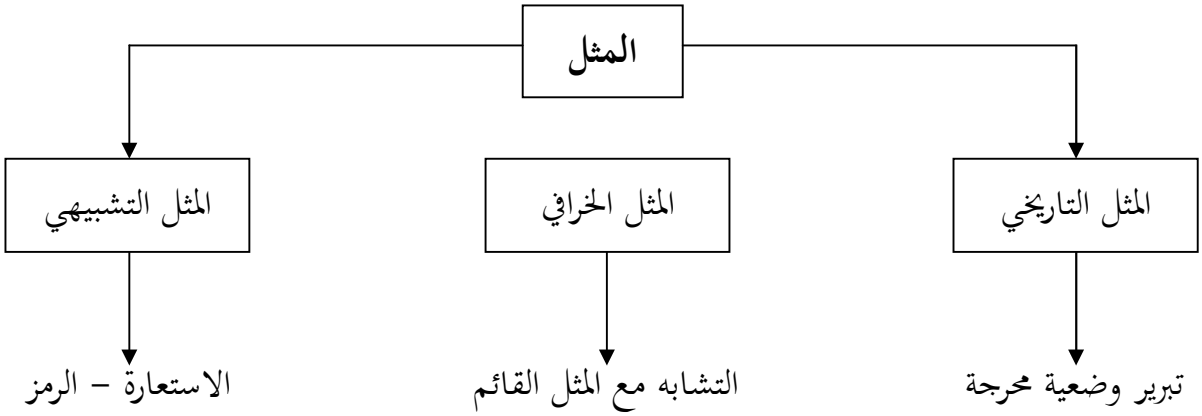

1-3- الشاهد:

يكتسي مفهوم "الشاهد" في الخطاب البلاغي والنقدي قيمة كبيرة إذ يحصره "أرسطو" في الخطابة القضائية التّي تقوم على استحضار الشهود والأقوال، في حين نجده في الخطابة العربيّة شديد الصلة بالشعر الذي يعد ديوان العرب ولسانهم الناطق، ومع مجيء الإسلام أصبح كتاب الله والسنة النبوية من اجل المصادر التّي يستشهد بها.

تسمى هذه الوسائل في البلاغة ألأرسطية الحجج الجاهزة أو غير الصناعية، ويدخل في نطاقها القوانين والشهود والاعترافات وأقوال الحكماء وتختص إجمالا بالخطابة القضائية، ومنها في الخطابة العربيّة تضمين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأبيات الشعر والأمثال والحكم، وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها، وتدخل الخطيب ينحصر في اختيارها وتوجيهها إلى الفرض المرصودة للاستدلال عليه[2].

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 71.

[2]- المرجع نفسه، ص 65.

ميز أرسطو بين نوعين من الحجج الحجج الصناعية، الحجج غير الصناعية، فيقول: "فأما التصديقات فمنها بصناعة، ومنها يغير صناعة"[1].

أو كما يسميها محمد غنيمي هلال فنية وغير فنية[2].

- **الحجج غير الصناعية (الجاهزة):**

وهي تلك التّي لا يكون للخطيب دخل فيها، إذ هي خارجة عن نطاق تصرفه واجتهاده، مثل: الشهود والاعترافات، والوثائق، والإثباتات، والأقوال عن طريق التعذيب وغير صناعية هي التّي لا حيلة لنا فيها، كمثل الشهود والعذاب، والكتب، الصكاك وما أشبه ذلك[3].

وفي هذا الصدد يقول أرسطو في كتابه الخطابة كما جاء فيه:

"فأما التصديقات فمنها بصناعة ومنها بغير صناعة، وقد أعنى باللاتي يغير صناعة تلك اللاتي ليست تكون بحيلة منا، ولكن بأمور متقدمة كمثل الشهود والعذاب والكتب، والصكاك وما أشبه ذلك، وأما اللاتي بالصناعة فما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة من أنفسنا، فمن هذه الآن ما ينبغي أنّ يستعمل استعمالا، ومنها ما ينبغي أنّ يستخرج استخراجا[4].

- **الحجج غير الصناعية (الجاهزة):**

تنقسم عند أرسطو إلى ثلاثة أقسام يقول: "فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وتسميتها ومنها ما يكون بهيئة للسامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت[5]، ويعني ذلك أنّ أخلاق الخطيب تعد من وسائل الإقناع وهي الحجج التّي تكون من اختصاص الخطيب، وتتوقف

[1]- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بدوي، ص: 09.

[2]- في هذا امقام يقول محمد غنيمي هلال، قصد أرسطو من تأليفه الخطابة إلى غاية خلقية فنية فأراد أن يعين على إقرار الحق والعدل بتزويد الخطباء بوسائل البراهين الصحيحة، محمد غنيمي هلال، النقد ألأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ط، 2001م، ص: 94.

[3]- أرسطو طاليس، الخطابة، ص: 09.

[4]- المرجع نفسه، ص: 09.

[5]- المرجع نفسه، ص: 10.

على مدى فطنته في استخراجها والإدلاء بها في وقتها المناسب منها ما يختص بالمتكلم ومنها ما يختص بالمتلقي ومنها ما تتوقف على المقام.

فما يتعلق بسمت الخطيب وأخلاقه ويعرف بـ (éthos)، وما يتعلق بأحوال السامعين ونفسياتهم هو (Pathos)، وما يتعلق بكلام المتكلم وما تحمله اللغة داخلها من حجج منطقية (logos). وهذه الحجج بأنواعها الثلاثة يقسمها أرسطو إلى قسمين كبيرين: حجج خلقية ذاتية، وأخرى منطقية موضوعية[1].

- **الحجج الخلقية الذاتية:**

يدرس أرسطو فيها الأسس النفسية للخطابة، وهذه الأسس النفسية لها ناحيتان: "أولهما ما يتعلق بخلق الخطيب أو شخصيته، وثانيها تخص عواطف السامعين وانفعالاتهم"[2].

أ–ما يتعلق بالخطيب (éthos): وذلك بأن يكون الكلام بنحو يجعل المتكلم أهلا أنّ يصدق ويقبل قوله.

ب– ما يتعلق بالسامع (Pathos): ينبغي للمتصدر للخطابة أنّ يكون محيطا بالأحوال النفسية والعاطفية لمستمعيه، ومعرفة ما يثير عواطفهم المختلفة، من غضب، وفرح، وشفقة، حتى يضمن لكلامه التأثير والفعالية. "وأما بتهيئة السامع فحين يستميله الكلام إلى شيء من الآلام المعترية، فإنه ليس إعطاؤنا الأحكام في حال الفرح والحزن ومع المحبة والبغضة سواء ..."[3].

وهنا يوجه الحديث إلى الخطابة القضائية خاصة، وإن كان المستمع في أغلب الأحوال في وضعية الحكم[4].

يقول "هشام الريفي" تعليقا عن أنموذج أرسطو: "خرج أرسطو عن سنة التأليف في صناعة الخطابة حينئذ، لكنه لم يطرح كل ما ذكره المؤلفون السابقين له... أخذ عنهم أهم ما ذكروه في أقسام

[1]– ينظر: محمد غنيمي هلال، النقد ألأدبي الحديث، ص: 100.

[2]– المرجع نفسه، ص: 100.

[3]– أرسطو طاليس، الخطابة، ص: 10.

[4]– ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 22.

الخطبة، ومآتي التأثير بالقول وأدرجه في مشروع أشمل ومختلف، وبمشروعه حول مركز الثقل في هذه الصناعة من التأثير إلى الإقناع وأراد أن يقيم بين هذين الطريفين توازنا فيكون التأثير بمقتضاه خادما للإقناع وتابعا له"[1].

أما عن برلمان (Perlman) فإن تفاعله مع أنموذج أرسطو أفرز أنموذجا جديدا أيضا، أكد فيه على الوجه المعقول (وليس الوجه الوجداني) فيما يخص بناء اللغة الحجاجية، بحيث رأى بأن الاستمالة تتحقق بفعل استدلالي منطقي قابل للاختبار والتمحيص من قبل المتلقي ليأتي اختياره عاكسا لوعيه واقتناعه "إن تأكيد (برلمان) على ضرورة قيام الحجاج على مبدأ المعقولية والاقتناع مرتبط لديه بغاية إنسانية أسمى وهي تحقيق الحرية الإنسانية من حيث هي اختيار عاقل، أنّ الحجاج غير الملزم وغير الاعتباطي (في عرف برلمان) هو وحده جدير بأن يحقق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل"[2].

- **الحجج المنطقية الموضوعية (Logos):**

"يفسح أرسطو لمعالجتها مجالا أوسع من المجال الذي عالج فيه الأقسية الذاتية السابقة، وهنا تتجلى علاقة الخطابة بالمنطق، وفي المنطق تدور الحجج المختلفة حول الاستقراء، ثمّ القياس الثلاثي[*]، والخطابة يقوم فيها المثل (exemple) مقام الاستقراء كما يعني المضمر (enthymème) عن القياس الثلاثي المنطقي وجميع الخطباء لا تخرج حججهم عن المثل والقياس المضمر[3].

[1]- أرسطو طاليس، الخطابة، ص: 09.

[2]- المرجع نفسه، ص: 09.

[*]- **القياس الثلاثي**: هو المتكون من مقدمة مغري، ثم نتيجة، أما القياس المضمر فهو الذي تختلف مقدمته الصغرى، ويكتفي بالمقدمة الكبرى والنتيجة فقط.

[3]- جميل عبد ، البلاغة والاتصال، دار الغريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م، ص: 110-111.

1-4- الأسلوب:

في التمهيد تعرض محمد العمري للأسلوب باعتباره يمثل جزءا من بلاغة الخطاب عند اليونان[1] والذي أصبح في البلاغة العربيّة يمثل الصدارة، كما تتبع تفسير أرسطو للأسلوب ولماذا أغلبية الناس تميل إليه؟ لأنهم يتأثرون بمشاعرهم لا بعقولهم.

- **البناء الدلالي**: أو تركيب المعاني حيث أورد حوار دار بين زياد وحارثة بن بدر في البيان الخطابي "قال زياد يوما لحارثة بن بدر من أخطب الناس أنا أو أنت، فقال الأمير: أخطب مني إذا توعد ووعد وأعطى ومنع، وبرق ورعد، وأنا أخطب منه في الوفادة، وفي الثناء والتحرير، وأنا أكذب إذا خطبت فأحشو كلامي بزيادة مليحة شهية، والأمير يقصد إلى الحق وميزان العدل ولا يزيد في شعيرة ولا ينقص منه فقال زيادة: قاتلك الله فقد أجدت تخليص صفتك وصفتي من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلها وأرضيتني وتخلصت، ثمّ التفت إلى أولاده فقال: "هذا لعمركم البيان الصريح"[2].

ويمكن إرجاع الزيادات الشهية في الخطابة إلى متطلبات التوصيل، دون أنّ يوقع الغموض والبعد عن التأثير والإقناع ويمكن إرجاع جانب من ذلك إلى الصور البيانية وما تحدثه من تأثير واستماله للقلوب كالاستعارة، والتشبيه، والكناية، والمجاز، والمقابلة بين المعاني والطباق واختيار الألفاظ المعبرة[3].

- **البنية الصوتية أو إيقاع النص الخطابي**: في البداية تعرض محمد العمري لمفهوم الصناعة الصوتية في الخطابة عند أرسطو وضبطها في نبرات (إيقاع) الكلام وزنه، وفي البلاغة العربيّة يمثله السجع الذي يرد في بعض الكلام لا في جميعه (حسب رأي الجاحظ)[4] كما تعرض لرأي البلاغيين العرب

---

[1]- كان الأسلوب غائبا في تصنيف كوراكس CORAX، ثم ظهر عندما حاول جرجياس أن يطبق على النثر بعض المبادئ الجمالية المستقاة من الشعر، وأخذ مكانة أقل من غيره من عناصر الخطابة عند أرسطو ثم تفتتت جوانبه عند اللاتين حتى ابتلع البلاغة كلها مشحنة في الصور البلاغية.

[2]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 92.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 93.

[4]- المرجع نفسه، ص: 104.

في موضوع السجع والجناس وأثره السلبي (في حال المبالغة) حيث ينشأ عنه مظهر التكلف الذي يعيق الوظيفة البلاغية في الخطاب.

كما تعرض لجملة من المصطلحات الصوتية، الازدواج، التوازن، الترصيع الذي يتحكم فيها عدد الحروف والحركات والسكنات مع توافق الأعجاز وتقاربها، ومن الأمثلة في القرآن الكريم: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ(14)**﴾[1] وفي قوله تعالى ﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ(13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ(14)**﴾[2] وما يركز على مفهوم التوازن عند القلقشندي، ويمثله في قوله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(118)**﴾[3].

وبعد هذه التوطئة المفاهيمية للبنية الصوتية يسقطها على النص الخطابي العربي في القرن الأول وقد قسمها إلى ثلاثة مستويات:

– الخطب المسجوعة:

إن السجع المرسع هو طابع أغلب ما وصلنا من خطب الجاهلين خاصة سجع الكهان حيث استدل ببعض النصوص كخطبة الكاهن الخزاعي والمختار الثقفي مع التعقيب عليهما[4].

– الخطب بين السجع والازدواج: (متوسطة الصناعة الصوتية)

"الاتجاه الثاني يزاوج بين الصنعة الصوتية وغيرها من المقومات الأخرى ويقيم إيقاعه على موازنات تتراوح بين السجع والازدواج مع تفاوت بين الفواصل أحيانا والتخلي عن القوافي أحيانا أخرى وهو الاتجاه الغالب في خطب الحجاج وأبي حمزة وزيادة وغيرهم من أعلام الخطابة وقد ركز محمد العمري على تحليل خطبة الحجاج حيث وازن بين العناصر الدلالية والصوتية[5].

[1]- سورة الانفطار، الآية 13-14.

[2]- سورة الغاشية، الآية 13-14.

[3]- سورة الصافات، الآية 117-118.

[4]- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 107-108.

[5]- المرجع نفسه، ص: 115.

– الخطب المرسلة: (قليلة الصناعة)

وهي خطب قليلة العناية بالموازنات الصوتية – الإيقاعية– وخاصة الجناس الذي لا يكاد يظهر فيها إلّا لماما، وقد عرفها "محمد العمري" بقوله: "هي خطب قليلة العناية بالموازنات الصوتية الإيقاعية خاصة الجناس، وقد استدل بنماذج كخطبة حجة الوداع للرسول"[1].

وقد عقب على هذا الفصل بملحق ضمنه (خطبة الحجاج حين وُلِيَ العراف سنة 75هـ ثمّ ألحقها بشرح الغريب وقصد بها الألفاظ)[2].

بعدها تعرض لجملة من الخطب كخطبة –فرغاته في تأبين الأحتف بن قيس– من خطبة للسيدة عائشة يوم الجمل في أهل البصرة (وصف أبي بكر وعمر)، خطبة حجة الوداع للرسول صلى الله عليه وسلم، تهنئة وتعزية خطبة عبد الله بن همام السلولي ومما يلاحظ عليها، أنّها لم ترد وق تسلسل زمني[3].

1–5– ترتيب أجزاء القول: وقد افتتحه بتمهيد نظري حيث ضمنه فكرة مفادها أنّ الأجزاء الكبرى للنص الخطابي من وضع كوراكس (CORAX) أما أرسطو فقد حسرها في خطوتين: عرض القضية والبرهنة عليها وقد عرض نصا لأرسطو ثمّ عقب عليه بالشرح[4].

العرض النظام البرهاني الدليل، الاستهلال النظام العاطفي الانفعالي شرح المراحل الأربعة، ثمّ أسقط ذلك على الخطابة العربيّة، فالخطب الدينية تستهل بالتحميد والتمجيد، وغيرها يسمى البتراء.

[1]– ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 115.

[2]– المرجع نفسه، ص: 117.

[3]– المرجع نفسه، ص: 116.

[4]– المرجع نفسه، ص: 127.

وترتيب الأجزاء يسير في ثنائية عبر عنها في مجال البراهين بطريقة أخرى، وهي ثنائية الدعوة العاطفية في المقدمة والخاتمة، والدعوة إلى الواقع والعقل في العرض والدليل وهذا ما مثله محمد العمري من خلال هذا التخطيط[1]:

النظام البرهاني

النظام العاطفي الانفعالي

[1]- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 129.

الفصل الثاني:

الخطابة في العصر الإسلامي والعصر الأموي

المبحث الأول: آليات الحجاج في الخطبة

المبحث الثاني: دراسة فنية وفكرية لخطبة الحجاج ابن يوسف التقفي

المبحث الثالث: آليات البلاغية والحجاجية لخطبة حجة الوداع

تمهيد

عرف الأدب الجزائري أجناسا أدبية مختلفة فكان الشعر ديوان العرب في الجاهلية كما كانت الخطابة من الأجناس الأدبية التي عرفها الأدب وأشتهر منهم الكثير وضرب بهم المثل في الخطابة وفصاحة اللسان مثل: "قس بن ساعدة"، و"أكثم بن صيفي" وغيرهما وقد أزدهر هذا الفن ازدهارا رفيعا في العصر الإسلامي والعصر الأموي، لأن الحاجة دعت إليه فقد تحول الاهتمام بالنثر بدل الشعر، لأن طبيعة الحياة الجديدة تقتضي النثر لا الشعر فالعقيدة الجديدة فرضت واقعا أدبيا أفرز اهتماما خاصا بهذا اللون النثري الأدبي وبذلك فإن هذا اللون من الدراسة سيعمل على وصل أدبنا وتراثنا بتاريخ الحضارة العربية والفكر العربي والنفسية العربية، لأنها تعد صورة للتجربة الصادقة الحية التي أخذنا نلتمس مظاهرها المختلفة في أدبنا بعامة وفي النثر بخاصة.

المبحث الأول: آليات الحجاج في الخطبة

1- تعريف الخطبة:

أ- لغة:

- **الخطبة:** مصدر الخطب (خطب الخاطب على المنبر) يَخْطُبُ، خَطَابَهُ بالفتح، وخُطْبَةٌ بالضم.
- **قال الجوهري:** "خطبت على المنبر بالضم وخَطَبْتُ المرأة خطبة بالكسر واختطب فيها".

والخطبة عند العرب (الكلام المنثور، والمسجع ونحوه) وإليه ذهب "أبو إسحاق" وفي (التهذيب) الخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر"[1].

- ورجل خطيب حسن الخطبة، وجمع الخطيب خطباء، وخُطَبْ بالضم، خَطَابة بالفتح صار خَطِيباً.
- **وفي حديث "الحجاج":** "أمن أهل المحاشد والمخَاطِبْ؟ أراد بالمخَاطِبْ الخُطَبْ، جمع على غير قياس كالمشابهة والملامح، وهو جمع مخطبة، والمخطبة هي الخطبة والمخاطبة المفاعلة من المخاطبة والمشاورة"[2].

ب- اصطلاحا:

جاء في معجم الوسيط: أن الخطبة: "الكلام المنثور يخاطب به متكلم فصيح جمعا من الناس لإقناعهم"[3].

ويعرفها أيضا عبد الجليل عبده شلبي بأنها: "فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشمل على الإقناع والاستمالة"[4].

من خلال التعاريف نخلص أن الخطابة فن نثري موجه إلى جمهور المخاطبين يهدف إلى إقناعهم واستمالتهم وهي من وظائف الحجاج.

---

[1]- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، سنة 2007م، ص: ص: 228-229.

[2]- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1996، ص: 90.

[3]- إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، دار الدعوى، إسطنبول، ط 2، ج 1، مادة (خ.ط.ب)، ص: 193.

[4]- عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1401هـ-1981م، ص: 13.

كما عرفها "محمد الحوفي" بقوله: "هي فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته، فلابد من مشافهة، وإلا كانت كتابة أو شعرا مدونا، ولابد من جمهور يستمع وإلا كان الكلام حديثا أو وصية، ولابد من الإقناع، وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين، ويؤيده بالبراهين ثم لابد من الاستمالة والمراد بها أن يهيج الخطيب نفوس سامعيه أو يهدئها"[1].

والخطابة ضرورة لكل مجتمع، في سلمه وحربه، فهي أداة للدعوة إلى الرأي، والتوجيه إلى الخير، ووسيلة الدعاة من الأنبياء والمرشدين، والزعماء والمصلحين، فهي ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية.

ويرى الزمخشري أنه يجوز أن يراد بمعنى الخطاب: "القصد الذي ليس فيه اختصار مخل، ولا إشباع ممل"[2].

عرفها أيضا "أرسطو طاليس" بقوله: "في القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل"[3].

وهي عنده مبنية على المبادئ الكلية، يعرفها بقوله: "إنها الكلام المقنع، وهي نوع من القياس، وتقابل في اللغة اللاتينية "Rhétorique"[4]، فهي إذا ليست من جنس الاشتياق نفسه الذي تخضع له اللفظة في العربية (خطب ⟵ خطاب)، حيث نلاحظ أن الجذرين مختلفان في اللغة اللاتينية، كما يوضحه الشكل الآتي: (Discours ⟶ Rhétorique).

ومن المعروف أن الخطابة هي فن من الفنون القديمة وقد أشار إلى ذلك الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي بقوله: "الخطابة قديمة قدم حياة المجتمعات، وجدت في ألمم القديمة كقدماء المصريين

[1]- ينظر: أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة 1938م، ص: 05.

[2]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، (د.ت)، ج 5-6، ص: 125.

[3]- أرسطو طاليس، الخطابة، ترجمة إبراهيم سلامة، نقلا عن المرجع السابق، ص: 06.

[4]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1999، ص: 531.

واليونان والرومان، وازدهرت في بعض العصور التي كان يشمل الناس فيها جناح من الحرية، كاليونان في القرن الخامس قبل الميلاد وكالعرب في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي"[1].

ثم من السهل أن نجد نقصا في تعريف الخطابة بأنها فن الاستمالة، لأن المنظر الطبيعي الراقي يستميل الذواقين للجمال وليس خطبة، ولأن الممثل البارع يستميل النظارة بإشارته أو حركته أو زيه أو وقفته دون أن ينطق، ف-ليس بخطيب، ولأن البائس العاري الجسد المهلهل الثوب المغضن الوجه، المعروق الجسد، قد يستميل المحسن بمنظره هذا، وما هو بخطيب"[2].

2- نشأة الخطابة وتطورها:

أ- الخطابة في العصر الجاهلي:

عرف العرب الخطابة وهي لون آخر من ألوان التلمس والبيان ازدهرت على أيدي العرب في الجاهلية ازدهارا كبيرا.

وقد ارتبط هذا الفن بحياة العرب الاجتماعية من منافرات ومفاخرات فهي في إصلاح ذات البين وإطفاء ثارة الخرب وحمالة الدماء.

كما "يدور موضوع خطبهم حول ظروف حياتهم المختلفة وما تقلبت فيه من طوارئ وتغيرات وأحداث جليلة... يقولون خطبهم في الحروب والوعظ والدين والتعازي والرحيل فلم تكن موحدة الموضوع ولم تقم على دراسة ونهج معين"[3].

ومن خطباء العرب: "قس بن ساعد" المضروب به المثل في البلاغة والحكمة والموعظة الحسنة كان بدين بالتوحيد ويؤمن بالبعث ويدعوا إلى نبذ الأوثان ويرشد إلى عبادة الخالق، وكان مهذب الألفاظ قوي التأثير يبتعد عن الحشو واللغو في كلامه، ومن أقواله المأثور ما ذكره النبي محمد صلى الله

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، ص: ص: 232-233.

[2]- ينظر: أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص: 06.

[3]- سالم المعوش، القواعد المعوفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام، دار النهضة العربية، 1422هـ-2001م، ط 1، ص: 280.

عليه وسلم من أنه رآه يسوق عكاظ: "أيها الناس اجتمعوا، ثم اسمعوا وعوا من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت...إلخ.

ومن خطباء العرب أيضا "لبيد بن ربيعة" المشهور بقلة المجاز وحسن الإيجاز وكان يكثر الأمثال ويلتزم السجع ويميل إلى الإقناع ويعتمد على التأثير، فيقول: "إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكهم وأفضل الملوك أعمها نفعا..."[1].

"كما جاءت الخطابة في هذا العصر مطبوعة بطابع الحياة الجاهلية، فجاءت قصيرةالفترات منفصلة الجمل، يسودها المثل وتسيطر على مقومات الحكمة ... لذلك كانت موجزة ومسجعة ومكررة الأفكار في عدة صور وصيغ مختلفة ملائمة الأجواء التي تلقى فيها منصرفة عن التحسين البديعي والحشد البلاغي"[2].

ومعروف أن الخطبة في الجاهلية كانت محدودة بما عرف عن الجاهليين من مستوى علمي وثقافي... وبما تفتقت به حياتهم من موضوعات وأغراض وما ارتسم أمامهم من آفات لها طابع حياتهم العام، ولم تكن الفن الوحيد لديهم بل كان الشعر المزاحم الرئيسي لها.

ولم يعني الرواة بنقل أخبار الخطباء إلا عندما حلت الخطابة منزلة أسمى من الشعر ... فكان لكل قبيلة خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر"[3].

لكن هذا اللون من الخطابة زال من حياة العرب بظهور الإسلام الذي دعا إلى نبذ التفاخر والتكاثر بالأحساب والأنساب.

ب- الخطابة في صدر الإسلام:

إذا كان الكلام البليغ ميزة العرب الرئيسية... فإن الخطابة تغدوا ميزة مهمة ، وهي ظاهرة أدبية نمت وتطورت وأخذت أبعادها الأكثر أهمية في الصدر الأول من الإسلام لما لها من تأثير

[1]- عمر عروة، النثر الفني القديم (أبرز فنونه وأعلامه)، دار القصبة للنشر، ص: 20.

[2]- سالم المعوش، القواعد المعرفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام، ص: 285.

[3]- السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الجيل، ط 1، ج 1، سنة 2003م، ص: 402.

في النفوس ومهارة في أراء غرض سام من أغراض الدعوة الإسلامية، فكانت ضرورية وظهورها بقوة أبرز الحاجة إليها، لأنها ظاهرة فنية تؤدي ما لم يؤده سواها من الفنون الأدبية.

"ومن الطبيعي أن يدرك الباحث في هذا العصر تغير الحدود والآفاق والأغراض والثقافة ... ذلك أن السعة التي تميز بها الإسلام شملت شؤونا لم تكن لدى الجاهليين ولاسيما ما يتعلق بأسلوب التفكير ومعطيات الثقافة... الأمر الذي جعل الخطابة تتهيأ لتأدية دور عظيم في المجتمع الجديد المتوثب للبناء والمتطلع للتغيير في كل شيء... من أجل هذا علا شأن الخطابة واحتلت مكانة رفيعة للحاجة الماسة إليها... حتى كادت تغطي على بقية الفنون كالشعر مثلا"[1].

"وأصبحت أداة الدعوة، واللسان الناطق بالرسالة، تشرح للناس أسرارها وتبين المثل والقيم التي أتت بها، وتوضح خفاياها، وتحب الناس فيها وتدلهم على الهدى والحق والرشد والصلاح وتجادل خصومها وتفند آراء المخالفين لها"[2].

إذ تعد الخطابة أساسا رئيسيا من أسس الدعوة وجوهر الدين، الأمر الذي أدى إلى ازدهارها وشيوعها.

"والخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه في اللسان العربي حتى ممن يعد عليهم اللحن، ولم تسعد العربية بكثرة الخطباء ووفرة خطب مثل ما ساعدت به في هذا العصر الأول، إذ كان القوم ورؤسائهم عريا خالصا يسمعون القول فيتبعون أحسنه"[3].

ومن أشهر خطباء هذا العصر "الرسول صلى الله عليه وسلم" الذي كان يعد أخطب الخطباء ومن خطبته خطبة حجة الوداع "... أيها الناس إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ..."[4].

---

[1]- سالم المعوش، القواعد المعرفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام، ص: 282.

[2]- حمد عبد المنعم الخفاجي، الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، ص: ص: 117-118.

[3]- السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ص: ص: 481-482.

[4]- المرجع نفسه، ص: 482.

وأيضا "أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان أكرم قريش خلقا وأرجحهم حلما وأشدهم عفة وكان أعلمهم بالأنساب وأيام العرب ومفاخرهم.

ومن أشهر خطبهم تلك التي قالها بعد النزاع الذي قام به الأنصار والمهاجرون حول الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم".

حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

"أيها الناس نحن المهاجرون وأول الناس إسلاما وأكرمهم أحسابا وأوسطهم دارا وأحسنهم وجوها وأكثر الناس ولادة في العرب"[1].

وليس في عصور أدب اللغة عصرا أحفل بالخطباء من هذا العصر لذا يعد من أزهى العصور على الإطلاق.

ج- الخطابة في العصر الأموي:

واصلت الخطابة سيرها في طريق الازدهار حتى جاء العهد الأموي عهد الأوج السياسي وكان الخلاف قد وقع شديدا في شأن الخلافة وانقسم الناس فرق وأحزابا، فكانت الخطابة أمضى سلاح في ميادين الكفاح.

"كانت الخطابة الأموية امتداد للخطابة التي ازدهرت في أواخر العهد الراشدي وهي نتيجة لأحوال البيئة وصورة صادقة لها، والبيئة بيئة اضطراب سياسي واجتماعي لاسيما بعد مقتل "عثمان بن عفان" فقد اصطرع المسلمون صراعا عنيفا ولاسيما بعد "العلويون" و"الأمويون" منهم وقامت "الزبيرية" تطالب بالخلافة، كما قام الخوارج يكفرون "عليا" و"معاوية" ونهضت القبائل في عصبية متجددة، تتناحر وتتجادل، وفي هذا الصراع كله كانت الخطابة وسيلة وعدة، وكان الخطباء في أصل كل حركة وفي قمة كل فتنة"[2].

[1]- السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ص: 484.

[2]- حنا الفاخوري، الجامع في الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، ص: 358.

"وكانت الخطابة السياسية أبرز أنواع الخطابة في هذا العصر، لبروز الأحزاب وتطاحنها في صراع سياسي عنيف، وكان الخطباء من الخلفاء والأمراء والولاة والقواد، فاتسمت خطبتهم بقوة الشخصية، والاعتزاز بالنفس والأنفة وبالقسوة، وبأسلوبها العربي الخالص"[1].

وبالرغم من أن بواكر هذه الخطابة وجدت منذ صدر الإسلام لكن براعمها لم تتفتح وأعضائها لم تورق إلا في العصر "العصر الأموي".

كما ظهر في هذا العصر خطب الجمع والحفلات أو المحافل الدينية "التي تفصل التعاليم وتدعوا إلى ذكر والتذكر وتحث على التقوى، وهناك أيضا الخطب الكلامية التي تعتمد الفلسفة الكلامية والنقاش اللاهوتي عن طريق العقل... وهناك الخطب الصوفية التي تدعوا إلى الزهد والتصوف والتي تتحدث عن أباطيل الدنيا والتصعيد في سلم المقامات"[2].

"وإلى جانب ذلك فقد واصلت خطابة الفتوح سيرها ترافق الجيوش في شمال إفريقيا وبلاد "السند والهند" وغيرها، وتبعث الحماسة في صدور المقاتلين، إلى جانب استعمالها في المفاخرات والمناقضات التي كانت تدور رحالها بين أهل العصبة اليمانية والمصرية، وبين العرب الشعرية وفوق ذلك استعملت الخطابة فيما كانت تستعمل فيه في الجاهلية وصدر الإسلام من تحريض على قتال أو وصية بمعروف أو توضيح حكم شرعي أو تهنئة بفتح، وفي صلاة الجمعة والعيدين وموسم عرفة وغير ذلك"[3].

- إذ يعتبر العصر الأموي من ابرز العصور في الأدب العربي القديم، لأنه مرحلة مفصلية تقف على حدود تلك النقلة الفنية الهائلة التي تحول فيها أدبنا العربي شعره ونثره، من طور السياق الثقافي البدوي إلى طور السياق الثقافي الحضري.

[1]- إميل ناصيف، أروع ما قيل من خطب، دار الجيل بيروت، ط 141، 1هـ، سنة 19899م، ص: 19.

[2]- حنا الفاخوري، الجامع في الأدب العربي، ص: 359.

[3]- أحمد حسن الزيات، الأدب العربي وتاريخه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 8، 2004م، ص: 486.

3- قيمة الخطابة الأموية:

واصلت الخطابة سيرها في طريق الازدهار حتى كان العهد الأموي "عهد الأوج السياسي" وكان الخلاف قد وقع شديدا في شأن الخلافة وانقسم الناس فرقا وأحزابا، فاضطربت الحال وتأججت نيران الفتن، وكانت الخطابة والشعر سلاحان في ميادين الكفاح، يتجلى ذلك في ثلاث نقاط أهمها[1]:

1. الخطابة الأموية خطابة تسيطر عليها روح الخصام والجدال، وقد وجدت في هذا الجو المحموم ما شحنها بالنقاش والجدل، وما وجهها توجيها عميقا واتساع وجدة، وتوجيه وقوة وعنف.

2. والذي يروعك في هذه الخطابة روح المنطق الذي ينظم ويبني، وروح اللباقة ولاسيما في خطب الحزب ألأموي "حتى ليبدوا الباطل على ألسنتهم حقا والحق باطلا" وقد شاعت في الخطابة السياسية نزعة الميكافيلية الأموية التي تتستر بستار الدين والتقوى في سبيل الوصول إلى الهدف، وفي الخطابة الدينية روح الفلسفة والجدل، وفي خطابة الوفود نزعة البلاغة الأخاذة.

3. وفضلا عن ذلك فقد حفلت الخوارج بالعاطفة الدينية العميقة حتى قبل "كلامهم كان أسرع إلى القلوب من النار إلى الهشيم أما خطابة الشيعة فكانت خطابة صدق وعاطفة"[2].

- الخطابة منذ كانت سلاح المجتمع في سلمه وحربه، وفي الإسراع به نحو المثل الأعلى فليس بدعا إن كان بلغ النبيين إلى أممهم، والروح الذي يكسبها القواد في نفوس جنودهم قبل المعركة فيسرعون إلى قتال أعدائهم، والقوة الساحرة التي يقود بها الزعماء السياسيون والمصلحون الاجتماعيون أممهم إلى حياة أرقى وأغز وأبقى، ولسان ألأحزاب تنشر به دعوتها".

4- عناصر الخطابة:

حددّ بعض الباحثين المنشغلين في هذا الحقل عناصر الخطابة بثلاثة وهي:

1. **الخطيب:** (القائل أو المرسل).
2. **الخطبة:** (المقول فيه، الموضوع، أو الوسيط).

---

[1]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص: 360.

[2]- المرجع نفسه، ص: 360.

3.المتلقي: (المستمع، المرسل إليه، أو المستقبل).

أولا: الخطيب

يعد الخطيب العنصر الأساسي في تكوين الخطبة، فهو عماد نجاحها أو فشلها، فهو المؤدي لغرضها ولتحقيق هذا الغرض أو لتحقيق النجاح من خلال أقناع المتلقي والتأثير فيه، فقد حظي هذا الأخير بعناية النقاد واشترطوا فيه شروطا لتحقيق غاية أهمها:

- **الثقافة الواسعة:** أو يكون مطلعا على جميع الميادين والمجالات بالإضافة إلى حفظه للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأن يكون ملما لجميع العلوم خاصة الإنسانية منها والعلمية.
- **الموهبة الفطرية:** فقد روى "الجاحظ" لأحدهم قوله "رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحها رواية الكلام وحليها الإعراب وبهاؤها تخير الألفاظ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه"[1].
- **جهازة الصوت:** وتعد جهارة الصوت من أجل أوصاف الخطباء ولذلك قال الشاعر: ***

إنّ صَالِح يَوماً حَسْبِ الصَخرَ مُنحَدراً والــرِيحَ عَاصــفةً والمَــوجُ يَلــتَطِمُ

وذم آخر بعض الخطباء برقة الصوت وضآلته فقال:

ومِـنْ عَجَـبِ الأَيَّـامِ إنّ قُمـتَ خَاطبـاً وأَنْتَ ضَلِيلُ الصَوتِ مُنْتفِخَ السِحْرِ[2]

السِـــــــــــــــــــــحْرِ[2]

ويعتبر هذا الشرط صفة من الصفات الضرورية التي تمكن الخطيب من الاستيلاء على نفوس السامعين، وجلب صفائهم إليه، ولا يعني بجهارة الصوت الصراخ الذي سبب نفور المستمعين.

- **رباطة الجأش:** وتعد من أعيب عيوب الخطيب، فهو إن فقد رباطة جأشه اعتراه التلعثم والاضطراب والخجل، لأن مواجهة الجماهير المترقبة من شأنه أن يذهب برباطة الجأش.

[1]- الجاحظ أو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج 1، ص: 72.

[2]- مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية 2009-2010، ص: ص: 100-101.

وندعم هاتان الفكرتان بقول "الجاحظ": وأعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته، أن يعتري الخطيب البهر والارتعاش والرعدة والعرق"[1].

وعليه إذن يجب على الخطيب أن يكون مطمئن النفس واثقا من نفسه، ثابتا غير مضطرب فالمستمعون إن أحسوا بضعفه واضطرابه صغر في نظرهم، وهان كلامه في أعينهم، كما أن الاضطراب يورث الحيرة والدهشة والخوف، وهذه الصفة وهبية في أصلها إلا أنه باستطاعة (الخطيب) أن ينميها واكتسابها بالدربة.

- **أن لا يتصنع في قوله وأن يتجنب التعقيد ولا التشدق:** وذلك بأن يكون في جميع ألفاظه ومعانية جاريا على سجيته، غير مشكرة لطبيعته، ولا متكلفا ما ليس في وسعه، فإن التكلف إذا ظهر في الكلام هجنة وقبحة"[2].

وهذا الأمر ينفر المستمع ويشوش انتباهه وتركيزه من ناحية حي تجعله قلقا، ومن ناحية أخرى لا يتمكن من استيعاب لب الموضوع وأخذ العبرة والمنفعة منه.

- **مراعاة الحالة النفسية للمتلقي ومدى استيعابهم:** (مدى تقبل الناس لكلامهم) فإذا رأى منهم إقبالا عليه وإنصاتا لكلامه أطال على قدر احتمالهم ونشاطهم لسماعه، فإن أحس منهم فتورا وإعراضا عنه أمسك عن الإطالة"[3].

وفي هذا يقول "الجاحظ": لكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستقبال والملال فذلك الفاضل هو الهذر والخطل"[4].

ذلك أن المستمع يلعب دورا هاما في نجاح الهدف الذي يسمو إليه الخطيب والخطبة معا ألا وهو استيعاب مضمون الخطبة والعمل به، لهذا فعلى الخطيب مراعاة نشاط السامع بالدرجة الأولى،

[1]- الجاحظ أو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبين، ص: 133.

[2]- عثمان مرافي، في نظرية ألدب وقضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، 2002، ج 1، ص: 69.

[3]- مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ص: 102.

[4]- الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، ص: 99.

ويندرج تحت هذا الأمر سرعة البديهة عن الخطيب في حالة وجود إعراض من القوم لموقف أسعفته بديهته بالخروج من محنته وأزمته وإلا ضاعت الخطبة وآثارها.

- كذلك عدوا من منيعات الخطيب أن يكون لسانه سالما من العيوب التي تشين الألفاظ مثل: التمتمة وهي التردد في التاء، والحسبة التي تعذر الكلام عند إرادته..."[1].

بمعنى فصاحة الخطيب وسلامته من أي عيب في لسانه (عيوب النطق) قد يؤثر على الجمهور المتلقي لهذه الخطبة، مما يدفعه –الجمهور– إلى الانشغال بما يقوله الخطيب.

ولعل مما يدل على السعي والحصر عند الخطيب أن يتشاغل بفتل إصبعه ومس لحيته وغير ذلك، وربما تنحنح وسعل، ومن مظاهر العي والحصر أيضا: لجوء الخطيب لإفهام حاجته إلى الاستعانة بألفاظ عند مقاطع كلامه مثل ذلك: يا هذا، اسمع مني، افهم مني أو لست تعقل ... إلخ، وكله عي وفساد"[2].

فاشتغال الخطيب بحركات واستعانته بألفاظ معينة قد يعد عيبا من العيوب التي تؤثر على مكانته أمام الجمهور، فيدرك الجمهور أنه غير متمكن من التعبير عن الموضوع الذي يهدف إليه.

ومن الأمور المهمة التي وجب على الخطيب أن يتحلى بها، هي أنه كما قالت العرب أن "لكل مقام مقال"، فعلى الخطيب أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين باختلاف حالاتهم ولكل حالة من ذلك مقاما، والمقام هو الذي يفرض الإيجاز أو التطويل والإيجاز في الموضع التطويل تقصير والتطويل في موضع الإيجاز هدر، والإيجار يكون لخاصة الناس من ذوي الأفهام الثقافية، بينما التطويل يكون للعوام كما ينبغي عليه أن يجعل لكل طبقة ما يناسبها من الألفاظ مثال: كلام الملوك في مخاطبة السوقة"[3].

[1]– مصطفى التسيير قط، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ص: 102.

[2]– الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 113.

[3]– ينظر، محمد البشير قط، مفهوم النثر الفني وأجناسه، ص: 100.

لذا وجب على الخطيب مراعاة الفروق بين طبقات المجتمع من خلال انتقائه للعبارات والألفاظ التي يستخدمها في خطبه، فلا يستعمل العبارات الصعبة والفصيحة لمخاطبة عامة الناس كما لا يعتمد العبارات البسيطة والمتداولة بين عامة الناس في مخاطبة الطبقة المتعلمة والمثقفة.

كما وجب عليه أن يتمتع بقوة العاطفة للتأثير على المستدعين مما يدل على ذلك قول "عامر بن عبد القيس" الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان"، وأن يستعمل الإشارة فهي تعد في المرتبة الثالثة من أنواع التعبير، مثال أن تكون باليد أو العين أو الحاجب أو السيف"[1].

ومن الشروط الأساسية التي يجب أن تتوفر في الخطيب قوة العاطفة الجياشة لاستمالة قلوب المستمعين، لأن الخطيب الذي لا يكون جباش العاطفة، حي المشاعر، رقيق القلب مرهف الإحساس، خرجت كلماته ميتة لا حياة فيها ولا روح، فالخطبة كالروح بالنسبة للجسد، لكن ينبغي أن تكون هذه العاطفة موزونة بالعقل الرشيد، والرأي السديد، وأن تكون خاضعة وموافقة لأحكام الشرع المجيد، بالإضافة إلى استعمال الإشارة للفت الانتباه وشد الجمهور إليه (الخطيب) وللموضوع المطروح.

- نستنتج مما سبق من المهام الصعبة والشاقة فهي تفرض عليه أن يستعد الاستعداد الكافي واللازم، في صواب الفكر وحسن التعابير وطلاقة اللسان وجودة الإلقاء، لأن الخطيب بلسانه ورقة جنانه وتجرده يقتلع جذور النثر من نفس المجرم ويبعث في نفسه خشية الله عز وجل، وحب الحق وقبول العدل ومعاونة الناس، إن عمله إصلاح الضمائر وإيقاظ العواطف النبيلة في نفوس الأمة وبناء الضمائر الحية، وتربية النفوس العالية في عمل خالص وجهد متجرد، يرجو ثواب الله ويروم نفع الناس، وبهذا الشكل نكون قد ألممنا بأهم الشروط التي يجب على الخطيب أن يتحلى بها وذلك لغرض أو هدف واحد ووحيد ألا وهو إقناع المتلقي والتأثير فيه ومحاولة الوصول إلى وجدانه بطريقة سلسة خالية من التعقيد والملل باعتبار الخطيب عنصرا هاما وأساسيا من عناصر الخطبة.

[1]- ينظر، محمد البشير قط، مفهوم النثر الفني وأجناسه، ص: ص 103-104.

ثانيا: الخطبة (الموضوع)

تتضمن الخطبة ثلاثة أركان رئيسية هي: المقدمة، العرض، الخاتمة.

أ–المقدمة: هي أول ما يظهر من الخطبة، ممهدة للموضوع، وهي أهم عناصر الخطبة التي تشد انتباه السامعين، وتهيئهم لسماع ما سيقول الخطيب، "والهدف منها إعداد السامعين لتقبل الموضوع، لذلك تأتي موجزة جذابة متصلة بالموضوع اتصالا وثيقا"[1].

وعلى على هذا الأساس وجب على المقدمة أن تكون حاوية لهدف الخطبة، بمعنى أن تفصح عن الموضوع، وأن تكون مشوقة إلى ما سيأتي بعدها، لهذا تكون عباراتها قصيرة ذات إيقاع حتى لا يمل المستمعون من الكلام بعدها، وكذلك وجب أن تفتح المقدمة عامة بالبسملة والحمد لله والصلاة على "النبي محمد صلى الله عليه وسلم"، وفي هذا يقول الجاحظ "إن خطباء السيف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان مازالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالحمد بـ البتراء"[2].

ب– العرض: وهو الجزء الرئيسي من الخطبة وفيه يتم عرض أفكار الخطيب للمستمعين ومحاولة إقناعهم بتوظيفه للبراهين والشواهد بحيث يفند أراء الخصم مع مراعاة اللياقة والتجافي ذاهبا إلى الإقناع والتأثير"[3].

ولتحقيق هذا الغرض السامي (الإقناع والتأثير) وجب اختيار اللفظ المناسب والملائم للموضوع العام للخطبة، ومراعاة وحدة الموضوع من خلال ربط جميع الأفكار الثانوية بالموضوع الرئيسي الذي تعالجه الخطبة، ومن المعلوم أن وحدة الموضوع في الخطبة يجب أن تتركز في أمر واحد يدور الكلام حوله، وتتجمع الأدلة التي هي عوامل الإقناع وهذه الأخيرة مقترنة بعناصر الخطبة، الخطيب، والمتلقي، وبهم تتعلق الغاية من الخطبة والموضوع.

[1]– إميل ناصيف، أروع ما قيل عن الخطب، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1915هـ–990م، ص: 5.

[2]– الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 113.

[3]– إميل ناصيف، أروع ما قيل من الخطب، ص: 5.

لأنه لابد في الخطابة من الملائمة بين العبارات والحجج وظروف الجمهور، فالعبارات فيها ذات طابع منطقي في الأداء ولكن براهينها يجب أن تبتعد عن حرفية الأقسية المنطقية وذلك لأن الجمهور المخاطب لا يكون غالبا على حظ كبير من الثقافة فيصعب عليه متابعة الأقسية المنطقية الجافة، وهذا هو السبب في أن الخطباء غير المثقفين أقدر على إقناع الجمهور من الخطباء المثقفين والأولون أبرع في القول أمام الجمهور لأنهم يصوغون الأفكار العامة المشتركة من موضوعات معارفهم فتأتى أقوالهم قريبة من الجمهور"[1].

وعلى هذا الأساس هناك نوعان من الأدلة والبراهين وهما:

- **البراهين النطقية الموضوعية:** وفيها تتجلى علاقة الخطابة بالمنطق فجميع الخطباء لا تخرج حججهم عن المثل والقياس المضمر وفي هذا الحكمة هي شبيهة بالقياس المضمر لأنها قول موجز.
- **البراهين الخلقية الذاتية:** وهي الأسس النفسية للخطابة، منها ما يتصل بالخطيب، ومنها ما يتعلق بالسامعين وذلك لسهولة التسلل إلى أنفسهم والتأثير فيهم.

ج- الخاتمة: وفيها يلخص الخطيب موضوعه ويجذب سامعيه، لذلك يجب أن تكون موجزة وواضحة وقوية وداعية إلى مذهب الخطيب، لأنها هي آخر ما يبقى في أذهان السامعين"[2]، فهي إجمالا ما جاء في الخطبة من أفكار.

وللخاتمة شروط أهمها:

- أن لا تكون بعيدة عن الموضوع ولا مجددة لأدلة أو آراء جديدة، لأنها حينئذ لا تكون خاتمة وإنما تكون جزءا من الخطبة وامتداد لها.

[1]- ينظر، محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، العصر السياسي عصر الدولة الأموية، دار المعارف، مصر، 1967، ج 1ص: 33.

[2]- إميل ناصيف، أروع ما قيل من الخطب، ص:5.

ومهمة الخاتمة تكمن في تركيز معاني الخطبة واستمالة الناس نحوها وأن تحقق الهدف منها، وأن تكون قوية في تعبيرها وفي إلقائها، لأنها آخر ما يطرق سمع الناس في آذانهم، وآخر صفات الخاتمة أن تكون قصيرة وحاسمة ومشوقة ومركزة وجامعة للفكرة"[1].

ودليل ذلك أنها كانت تختم بعبارة يطيل الخطيب تكرارها، يقول أبي بكر الصديق: "اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم القاك".

وقول عمر بن الخطاب: "اللهم لا تدعني في عمرة، وتأخذني على غرة، ولا تجعلني من الغافلين"[2].

ثالثا: المتلقي (المستقبل)

يعد المستمع العنصر الذي يوجه إليه الكلام في الخطبة، وذلك يجب أن يكون الخطيب عالما بهذا الجمهور، وواضعا ثقافة الجمهور وعلمه أمامه عند تحضير خطبته، أي مراعاة مستويات الجمهور والمطابقة وفق مقتضى الحال، وإعداد الصحيح الكافي.

فالجمهور من حيث الثقافة إما يكون عاميا أو مثقفا أو عالميا.

- **فأما المتلقي العامي**: هو الذي لم يحصل على حظ وافر من العلم والثقافة، وعند التعامل معه فعلى الخطيب مراعاة هذا الأمر، وذلك من خلال ابتعاده عن الكلام المعقد ولو كان فيه الأدلة والبراهين، ويلجأ إلى الموروثات من الأقوال والأمثال السائرة التي يعرفها الجمهور، ومن ثم يقتنع بها، لأن العاطفة هي المحرك الأساسي للجمهور.
- **أما المتلقي المثقف**: فهو أميل إلى الأدلة والبراهين والأفكار والإقناع مع مراعاة تأثره بالعاطفة (لذلك على الخطيب أن يراعي البراهين والعواطف في خطبته).
- **أما المتلقي العالم**: فهو الذي يجتمع في المؤتمرات العلمية والأدبية وهنا يجب على الخطيب أن يحكم أدلته وبراهينه، ولا يستعمل أسلوب الخطاب المتبع مع العوام"[3].

[1]- محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ص: 26.

[2]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص: 339.

[3]- ينظر، محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ص: 27.

- إن الخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه اللغة العربية ولم تسعد العربية بكثرة الخطباء ووفرة الخطب مثلما سعدت به في هذا العصر عن مألوف خطباء العصر الإسلامي.

عوامل ازدهار الخطابة الأموية:

من المقرر أن الخطابة تنشط وتزدهر في البيئات التي لا يتوفر فيها الاستقرار، ذلك لأنها فن يتجه إلى مخاطبة الجماعات وإثارة مشاعر الجماهير، وتحريك عواطفهم، فإذ كانت أحوال البلاد مستقرة وكان الناس راضين على الحكومة والسلطة التي تتولى أمورهم، فما حاجة القوم إلى الخطابة وفيما يتحدث الخطباء؟

أما حين تضطرب أحوال البلاد الداخلية، ويسود التذمر والسخط على السلطان القائم لسوء سياسته فحينئذ تظهر المعارضة لهذا السلطان وتكثر الفتن والثورات ويقوم الخطباء ويحرضون القوم على الثورة، داعين إلى حكم أفضل وسياسة أقوم، فتنشط الخطابة وتزدهر ويكثر الخطباء"[1].

ولقد كانت الحالة السياسية في عصر الأمويين أبعد ما تكون عن الهدوء والاستقرار، وطول مدة حكمهم التي تناهر قرنا من الزمان لم تهدأ حركة المعارضة لحكمهم، فهي لسانية تارة وحرية تارة أخرى، فكان عهدهم حافلا بالأحداث الداخلية والفتن والثورات، والسبب الأول لظهور حركة المعارضة للحكم الأموي هو شيوع السخط والنقمة على سياسة بني أمية وعمالهم"[2].

أما مبعث هذا السخط لدى معارضي بني أمية يكمن في أمور شتى:

جورفي الأحكام، وتعطيل للحدود، وخروج عن أحكام الدين واحتجان للفيء ولأموال المسلمين واستئثار بالنفوذ والسلطان وانتهاك لحرمة الأماكن المقدسة وإيثار المقربين والأنصار بالعطاء والهبات، واغتصاب الحقوق من أصحابها... إلى غير ذلك"[3].

[1]- إحسان النص، الخطابة العربية في عصرها الذهبي، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط 2، 1963م، ص: 147.

[2]- المرجع نفسه، ص: ص: 147-148.

[3]- محمد عبد الغني حسن، الخطب والمواعظ، دار المعارف، مصر، ط 2، 1968، ص: ص: 147-148.

ونستدل على ذلك بخطبة أبي حمزة الشاري التي قالها يوم دخل المدينة والتي يوجد فيها كثير من أسباب السخط "سألناكم عن ولائكم هؤلاء فقتلتم، والله ما فيهم الذي يعدل، اخذوا المال من غير حله فوضعوه في غير حقه وجاروا في الحكم فحكموا يغير ما انزل الله واستأثروا بضيئنا فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء وفروج الإماء..."[1].

ولولا هذا السخط لما ظهرت هذه الخطب ولما ظهر بسببها عدد وافر من الخطباء، كان لكل من الفرق والقبائل المتنازعة خطبائهم الناطقون بلسانهم.

وثمة سبب آخر لازدهار الخطابة، متصل بالنظام السياسي الذي ساد في ذلك العصر فقد انتقل العرب من مرحلة البداوة إلى مرحلة الحياة المتحضرة، وكانوا قبائل متفرقة لا تخضع لقانون يوحد بينها فأصبحوا يخضعون كلهم لدولة واحدة ذات أوضاع سياسية منظمة ونظم إدارية مستقرة ولم يكن في ظل هذا التنظيم من أن يتصل الحاكم برعيته ليطلعها على الخطة التي سيسلكها أو ليوجهها ويرشدها وكانت الخطابة عندئذ أفضل وسيلة الاتصال الراعي برعيته والحاكم بالمحكومين، فكان هذا من دواعي كثرة الخطب السياسية وازدهارها"[2].

وكان من عوامل ازدهارها أيضا دعاة الأحزاب السياسية اتخذوها أداة لنشر الدعوة لأحزابهم واستمالة الأنصار إليهم وعند تكون الأحزاب السياسية صارت المخاطبات الاستشارية تتم داخل الأحزاب والجماعات المنسجمة كتشاور الخوارج في شأن عبد الله بن الزبير، وتشاور الشعرية حين عزم الحسين على السفر إلى الكوفة والخطب السياسية الهادئة القائمة على الحجاج قليلة في الخطابة العربية وذلك أن العلاقة بين الأنداد أنفسهم كانت ميالة إلى حسم الأمور بطرق أخرى غير طرق الإقناع[3]، وكانت الخطابة تؤدي المهمة التي تتولاها اليوم الصحافة في نصرة الأحزاب والدعوة لها.

[1]- محمد عبد القادر شاهين، العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه الأندلسي، شريف الأنصاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج 4، 2003م، ص: 146.

[2]- إحسان النص، الخطابة العربية في عصرها الذهبي، ص: 151.

[3]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: ص: 49-50.

ومن المقرر كذلك أن الخطابة تزهر في ظل النظم التي تتيح حرية الفكر والقول لأنها تتيح للخطيب أن يدلي برأيه بحرية وصراحة وتشعر الفرد بحقوقه وكرامته، والواقع أن الروح الديمقراطية التي كانت سائدة في عصر الراشدين قد توارث في العصر الأموي[1].

ولعل هذا ما يفسر قلة خطب المعرضين للحكم الأموي بالقياس لخطب المؤيدين، فلو أن حرية القول والنقد كانت متاحة للجميع لامتلأت الكتب بخطب الخطباء ولأصابت الخطابة في عصر بني أمية حضا أوفر وأعظم من الازدهار والارتقاء[2].

ونستطيع القول بأن كل هذه العوامل المتعددة أدت إلى نشاط الخطابة في عصر بني أمية وإلى النهوض بهذا الفن فكريا وفنيا، وكان من مظاهر ازدهار الخطابة أيضا وفرة الخطباء ونبوغ طائفة من ألمع خطباء السياسة الذين عرفهم تاريخ الأدب في جميع عصورهم، وكان من مظاهرها أيضا تعدد أقسام الخطابة.

ومن خلال دراستنا لهذا العصر تبين لنا أنه عصر جديد يختلف اختلافا واضحا عن عصر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وخلفاء الراشدين لأن في هذا العصر قامت دولة سياسية أموية، كما تولدت عن هذه الفترة أحزاب وطوائف انضمت إلى هذه الأخيرة ومن بين هؤلاء "الشيعة"، "الخوارج" وغيرهم من الفرق كما أن لكل واحد من هؤلاء طريقه في النظم، فعرفت الخطابة في هذه الفترة ازدهارا وتطورا، ساعد هذا التطور في خدمة الأحوال الاجتماعية والسياسية وكذلك الدينية في الحياة العربية الأموية.

[1]- إحسان النص، الخطابة العربية في عصرها الذهبي، ص-ص: 49-50.

[2]- المرجع نفسه، ص: 151.

المبحث الثاني: دراسة فنية وفكرية لخطبة الحجاج بن يوسف التقني

تحليل خطبة الحجاج بن يوسف: "هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي نسبه إلى "ثقيف" الذي سميت القبيلة باسمه"[1].

كان الحجاج آية في البلاغة والفصاحة، كان يخطب فيطيل فلا يتلعثم ولا يتلجج ولا يخطئ "كان يميل إلى جزالة اللفظ وقوة الجرس وقصر الجمل والتكرار، والتهويل بالقسم، والتوكيد والتصوير البارع المنفر أو المحبب، وكثرة الحديث عن نفسه، وتوالي الحجج الخطابية، التي تقوم على المغالطات، كما يظهر منها ميله إلى محاكاة أسلوب القرآن في التهويل والتخويف والاقتباس منه والاستشهاد بكثير من أشعار العرب وأمثالهم وحكمهم، وهو بهذا يعد في طليعة خطباء العرب الأفذاذ.

أما عن مكانته في بني أمية فقد كان ركنا قويا على شخصيته ومواهبه وإخلاصه وكفاحه في بناء الدولة الأموية في أحرج أوقاتها، وأصعب أيامها فكان الحجاج أحرص على الدولة من أهلها، وأحن عليها من أربابها، ولئن كان قد نهج في سياسته مناهج توجب الحساب... وتتسم خطب الحجاج كلها بقصر الفقرات، حتى أن كثيرا من فقراتها مركب من كلمتين أو ثلاث وتتسم بالإكثار من الاقتباس من القرآن الكريم، اقتباسيا ينبئ عن حفظ وفهم عميق وتذوق دقيق ولا عجب فقد كان يحفظ القرآن الكريم... فهو في خطبته في أهل الكوفة يقول: "بل أنت يا أهل الشام كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ(173)**﴾[2].

وقد كان الحجاج أخطر الخطباء في هذا العصر تهويلا وتخيلا حتى إن قسوته في الحكم تتجلى في أقواله كما تتجلى في أفعاله ووسيلة إلى هذا التخيل هو مقدرته على السيطرة الخطابية"[3].

[1]- أحمد محمد الحرفي، أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1965، ص: 545.

[2]- سورة الصافات: الآيات 171-173.

[3]- بشير شريف الرغوتي، فن الخطابة العربية، الأردن، عمان، 2007، ص: ص: 194-195.

وأخيرا نصل بالقول إلى أن الحجاج استطاع وببراعة خطابية أن يقضي على الفتن والثورات، كما أن له الفضل الكبير في نشر العلم والارتقاء باللغة العربية.

تطبيق على جزء من خطبة الحجاج بن يوسف على أهل الكوفة:

يقول الحجاج:

أَنَــا ابــن جَــلا وطَــلاَعِ الثَنَايَــا مَتَــى أَضَــعُ العَمَامَــة تَعْرِفُــونِي

ثم قال: يا أهل الكوفة، أما والله وإني لأحمل الشر بحمله، وأخذوه بنعله، أجزيه بمثله، وإني لأرى أبصارا طامحة، وأعناقا متطاولة، ورؤوسا قد أينعت حان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين الدعائم واللحى تترقرق.

ثم قال:

- **هَذَا أَوانُ الشَدِ فَاشْتَدِي رِيمْ**[1]
- **قَدْ لَفَهَا اللَيْلُ بِسِواقِ حُطَمُ**
- **لَيْس بِرَاعِي إِبلٍ وَلَا غَنَمُ**
- **وَلا بِجَزارٍ عَلى ظَهْرِ وَضَمُ**

يوجه الحجاج بن يوسف خطبته إلى أهل الكوفة، يهدف بخطابه إلى استمالة المتلقي والتأثير فيه وإقناعه بأفكاره، فتنوعت الخطبة في بنيتها الحجاجية بين التقنيات اللغوية، والبلاغة، والمنطقية مثل: الاستعارة، الكناية، التشبيه، القياس، المثال، السجع...).

للبسملة والحمدلة أهمية كبيرة في الخطب العربية، وهي بمثابة عقدة التواصل بين الباث والمتلقي، يستهل الحجاج خطبته بعدم ذكر البسملة، وغيابها عند الحجاج بقصد، تحمل في طياتها الترهيب والغضب، وعدم المودة والرحمة لمن يعصي الأوامر ويخرج عن الطاعة.

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: ص: 117-118. نقلا: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ص: ص: 380-382.

وحسب راوي فإن الحجاج بقي على المنبر مدة من الزمن وهو ملتئم وساكت فيها رسالة تضمر الترهيب وتبعث الذعر في نفوس الجمهور (أهل الكوفة).

يقول الحجاج:

أنـــا ابـــن جـــلا وطـــلاع الثنايـــا متـــى أضـــع العمامـــة تعرفـــوني*

البيت الشعري ليس للحجاج وظفه الحجاج توظيف أكسبه قوة، جعل من المتلقي يستشعر ويدرك قوة الملقي (الحجاج بن يوسف) وشجاعته وذلك بالاعتماد على الدلالات التي تحملها الصفة.

قال (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا) يشبه نفسه بالليث في وضوح أمره، وبالرجل الشجاع الذي يطلع الغارات من ثنية الجبل[1].

الكناية: الكناية موجودة في عجز البيت (متى أضع العمامة تعرفوني) غايتها التلميح، لأن العمامة في عرف العربي توضع في السلم وتلبس في الحرب، أراد الحجاج أن يلمح على أنه راجع من ساحة الحرب[2].

القياس: يقول الحجاج: "أما والله وإني والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى أبصارا طامحة، وأعناقا متطاولة، ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق"[3]، يمكن تقسيم بنيته الحجاجية إلى ثلاثة حجج: والحجة الأولى تنقسم إلى ثلاثة مقدمات ونتيجة.

الحجة الأولى:

أما والله وإني والله إني لأحمل الشر بحمله / وأحذوه بنعله / وأجزيه بمثله

مقدمة 01 مقدمة 02 مقدمة 03 النتيجة مضمرة

*- البيت الشعري من قصيدة رواها الأصمعي في الأصمعيات لسحيم بن وئيل الرياحي.

[1]- ينظر، الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص: 202.

[2]- ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 1، ص: 318.

[3]- المرجع نفسه، ص: ص 380-382.

الحجة الثانية:

⟵ وإني لأرى أبصارا طامحة، وأعناقا متطاولة، ورؤوسا أينعت وحان قطافها.

الحجة الثالثة:

⟵ وكأني أنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم واللحى

الاستعارة:

الحجة الأولى:

⟵ أما والله وإني والله إني لأحمل الشر بحمله / وأحذوه بنعله / وأجزيه بمثله، استعمل الحجاج بن يوسف في تركيبته اللغوية كلمة (الشر) وهو لفظ له دلالة معنوية وظفه الحجاج بدلالة مادية (أحمل، أحذوه، أجزيه) وهي ألفاظ توظف في الدلالة المادية، وهذه الاستعارة أراد الحجاج من خلالها أن يظهر لمتلقيه أنه قادر على فعل ما يريد وادعاء منه على بطشه وقوته.

الحجة الثانية:

⟵ وإني لأرى أبصارا طامحة، وأعناقا متطاولة، ورؤوسا أينعت وحان قطافها.

فلفظ (أينعت) و(قطاف) يحملان الدلالة المادية للفعل وتجسيد، وكأن الحجاج بن يوسف ذلك البستاني الذي يقطف الثمار التي نضجت، لكن كلمة (رؤوسا) تحمل دلالة مغايرة وهي (الإنسان) والدلالة المرادة هي (القتل) التي يدركها المتلقي والوعيد الذي ينتظره من سياق الكلام.

والاستعارة في الحجتين تهدف استعارة حجاجية إلى تفسير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي[1].

الحجة الثالثة:

⟵ وكأني أنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم واللحى

وظف الحجاج بن يوسف الكلمات (الدماء – العمائم – اللحى)، فالدماء دلالة على الموت، والعمائم دلالة على قرب موعد الحرب، واللحى دلالة على جنس الرجال.

[1]– ينظر: عمرو كان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، لبنان، 2001، ص: 134.

ويريد الباث من ذلك تغير موقف المتلقي وعودته إلى رشده قبل فوات الأوان.

الأدوات اللغوية:

التوكيد: وكان حاضرا بقوة وهي ضرورة أوجدها مقام الخطابة، وحاجة الخطيب لتأكيد حجته، مثال:

⟵ (أما والله وإني والله إني لأحمل...، وإني لأرى... وكأني لأنظر...)

العطف: وهو من الروابط الحجاجية، وكأن الحجاج بن يوسف يريد من المتلقي (أهل الكوفة) أن ينقلهم من صورة إلى صورة أخرى، والعطف (الواو) دوره رابط حجاجي.

التمثيل: وبه تعتقد الصلة بين الصورتين، يتمكن المرسل من الاحتجاج، وإظهار حججه.

يقول ميشال فوكو: "إن للتمثيل قدرة لا حد لها على ربط العلاقات وإقامة التشابهات، وعن طريق التمثيل يمكن أيضا أن تقارب بين جميع الأشكال والأشياء في العالم مهما بلغت اختلافها"[1]، يعمل التمثيل على ربط العلاقات بين الأشكال والأشياء رغم التباين الذي بينهم.

يقول الحجاج:

أوان الشّـــــدّ فاشـــــتدّي زِيَـــــم قَـــد لَفَّهَـــا اللَّيْـــلُ بِسَـــوَّاقِ حُطَـــم

لَـــــيْسَ بِرَاعِـــــي إِبِـــــل وَلَا غَـــــنَمٍ وَلَا بِجَـــزَارٍ عَلَـــى ظَهْـــرِ وَضْـــمْ

قَـــــد لَفَّهَـــــا اللَيْـــــلُ بِعَصْـــــلَبَّي أَرْفَـــــعُ خَـــــرَّاج مِـــــنَ الـــــدَوِيَّ

مُهَـــــاجِرٍ لَـــــيْسَ بِـــــأَعْرَابِيّ

يعلق محمد العمري يقول: "وتنقلنا الشواهد الشعرية المختلفة إلى عالم الرحلة الشاقة المضنية في الصحراء حيث يدفع السواق الحطم (أي الحجاج نفسه) الإبل (أهل الكوفة بالتحديد) في مجاهل الصحراء بدون شفقة، وهي تعلن الحرب على أهل الكوفة"[2].

[1]- عبد الرزاق الداوي، التخيل والتمثيل في الخطاب الفلسفي -ضمن كتاب: تكون المعارف- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ص: 127.

[2]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 107.

استعمال أداة إشارية (هذا) التي تعقد الصورة بين الصورة الأولى (الحجاج، وأهل الكوفة)، والصورة الثانية (العلاقة بين شواق الحطم، الإبل) قصد المرسل (الحجاج بن يوسف) إلى مزج بين الصورتين مقافي ذهن المتلقي (أهل الكوفة) حتى يضاعف التأثير، تلك الصورة التي تحمل معاني التهديد والترهيب.

فالتمثيل استعمله الحجاج لعرض حججه القوية والمؤثرة والمقنعة حتى يكون هناك خضوع واستسلام.

السلم الحجاجي:

يكون ترتيب الحجج المقدمة على السلم الحجاجي وهو "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

أ- كل القول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم علنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب-كل قول في السلم دليلا على مدلول معين كان يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه"[1]

كما يتميز السلم الحجاجي بجملة من القوانين نذكر منها:

قانون الخفض: مقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي يقع تحتها.

قانون تبديل السلم: مقتضى هذا القانون الثاني أنه إذا كان القول دليلا على نقيض مدلوله.

قانون القلب: مقتضى هذا القانون الثالث أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول، ويعتمد

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1998، ص: 277.

في ترتيب الحجج على الروابط الحجاجية كالأدوات اللغوية مثلا لكن في هذا الملفوظ سترتب الحجج بالاعتماد على الاستعارة لأن هناك من يرجح تضيفها ضمن أدوات السلم الحجاجي أيضا"[1].

تمثل الحجج على السلم الحجاجي كما يلي:

تنفيذ الوعيد والتهدي (الحجاج بن يوسف)

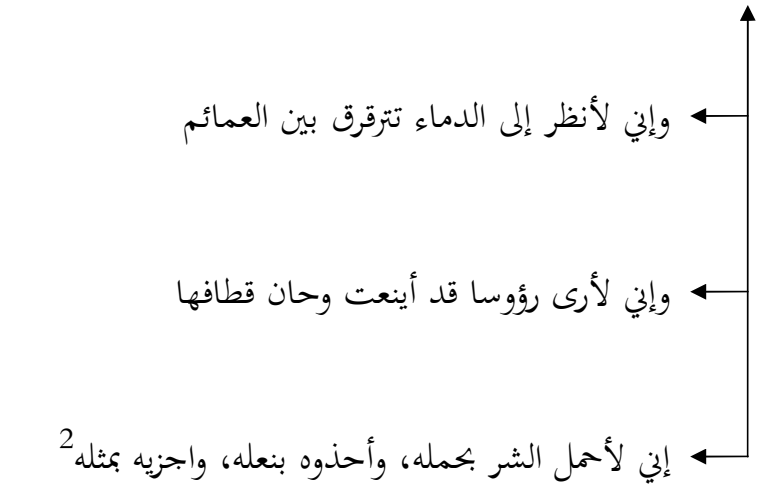

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، ص: ص 494-495.

[2]- المرجع نفسه، ص: 495.

المبحث الثالث: الآليات البلاغية والحجاجية لخطبة حجة الوداع

خطبة حجة الوداع من أهم خطب الرسول صلى الله عليه وسلم في التاريخ الإسلامي، لم ترد كاملة في موضع واحد من مصادر الحديث، فقد جاءت موزعة فيها على أكثر من باب وأكثر من حديث، مع اختلاف الرواية، وكانت خطبة حجة الوداع لقاء بين امة ورسولها، بل لقاء توصية ووداع، لخص لهم فيها أحكام دينهم ومقاصده الأساسية في كلمة جامعة مانعة.

إن هذه الخطبة المباركة من حث لفظها قد جمعت بين الهداية والرشد والتوجيه السديد ما جمعت وكانت مؤثر بليغ التأثير في النفوس.

والخطبة فيها دعوة من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تقوى الله وطاعته، وقد استخدم -صلى الله عليه وسلم- في الخطبة ألفاظ تدل على الهدى والرشاد.

كما بين فيها كيف يتجه الإنسان إلى ربه في سره وعلانيته وتكون تقوى الله الهدى وطريق النجاح، وإن سعادة الإنسان في تقواه.

وهذا ما دفع إلى دراسة هذه الخطبة الطيبة دراسة تحليلية شاملة لكل ما يندرج تحت الآليات اللغوية، وما ينبثق من الآليات البلاغية والتماس الجوانب التأثيرية الإقناعية والحجاجية.

نص الخطبة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]: "الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته! وأستفتح بالذي هو خير. أما بعد:

أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم، فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا موقف أبدا.

[1]- نص الخطبة من: الجاحظ البيان والتبين، تحقيق عبد السلام هارو، مكتبة الحاجي، القاهرة، 1985، ج 2، ط 1، ص: ص: 31-33.

أيها الناس: إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت...

فمن كانت عنده أمانة فيؤدها غلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا الجاهلية موضوع[1]، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون.

وقضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عمي العباس بن عبد المطلب موضوع كله، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وغن أول دمائكم أضع دم عامر ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، -وكان مسترضعا في بني ليث ففتله هذيل- فهو أول ما بدأ به من دماء الجاهلية، وإن مآثر الجاهلية موضوعة[2] غير السدانة والسياقة[3] والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن ازداد فهو من الجاهلية.

أما بعد -أيها الناس: فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به بما تحقرون من أعمالكم فأحذوه على دينكم!؟

– أيها الناس: "إنما النسيء[4] زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما، ويحرمونه عاما ليواطئو[5] عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله".

إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض، (وإن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا)، منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ورجب ومضر الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد – أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيتكم، ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن، فإن الله قد أذن لكم

---

[1]- يقال: وضعت عته الدين والجزية ونحوهما، إذا أسقطه.

[2]- ساقطة، وباطلة.

[3]- السدانة: خدمة الكعبة، وهي بفتح السين وكسرها وكانت السدانة والواء أبنى عند الدار في الجاهلية، فأثرها الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في الإسلام والسقاية، ما كنت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء.

[4]- التأخير: تقول نسأت الشيء، فهو مسوء، إذا أخرته

[5]- يوقفوا.

أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان[1] لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم إنما أخذ تموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فأعقلوا أيها الناس قولي فإني ألا قد بلغت، اللهم اشهد.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا قد بلغت، اللهم اشهد.

فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به له تضلوا بعده، كتاب الله وسنة نبيه.

ألا قد بلغت اللهم اشهد.

أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وادم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير.

وليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى.

ألا هل بلغات، اللهم اشهد.

قالوا: نعم.

قال فليبلغ الشاهد الغائب والسلام عليكم ورحمة الله".

التعريف بخطبة حجة الوداع:

ويشمل السنة التي ألقى النبي صلى الله عليه وسلم فيها الخطبة واليوم والمكان، ومن كان يبلغها، وهيئته حين ألقاها، وما اشتملت عليه وما نزل فيها.

فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الخطباء يوم عرفة على الإطلاق، وتعتبر خطبته وجيزة في لفظها وكثيرة في معناها، كيف لا وقد من الله تعالى، عليه بجوامع الكلم، ويعتبر عرفة اليوم الشريف والعظيم والفضل الكبير للأمة المحمدية، ففيه بالتحديد أنزل الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: "اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا".

[1]– العواني والعانيات: جمع عانية (والمذكر: العاني وجمعه العناة) وهي الأسيرة، أي من عندكم بمنزلة الأسرى.

"فأقول وبالله التوفيق، هذه الخطبة العظيمة ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم في حجته الوحيدة التي حجها في السنة العاشرة من الهجرة النبوية"[2].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم تجهز لهذه الحجة في ذي القعدة، وأمر الناس بالجهاز وخرج للحج لخمس ليال باقين من ذي القعدة[3]، فعن جابر رضي الله عنه، قال: "إن الرسول صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حاج، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعمل معه مثل عمله[4].

واستعمل على المدينة أبادجاته، رضي الله عنه، ويقال سباع بن عرقطة الفخاري، رضي الله عنه"[5]، وأما سبب تسمية هذه الحجة بحجة الوداع، فلأنه ودع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، الناس ولم يحج بعدها، وتسمى أيضا حجة الإسلام، لأنه لا يحج من المدينة غيرها، وتسمى أيضا حجة البلاغ لأنه صلى الله عليه وسلم بلغ الناس شرع الله قولا وفعلا، ولم يكن قد بقي من دعائم الإسلام وقواعده بشيء إلا بينه صلى الله عليه وسلم"[6].

وأما اليوم الذي ألقى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الخطبة العظيمة فيه، فإنه ألقاها في يوم عرفة، وذلك كما دل عليه حديث جابر رضي الله عنه، في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه توجه إلى منى في يوم التروية وصلى بها الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، والفجر، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس، وأمر بقية من شعر تضرب له بنمرة، فسار رسول الله صلى الله تعليه وسلم، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام، كما كانت قريش تضع في الجاهلية، فأجاز رسول الله

---

[2]- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار سويدان، بيروت، 148/3، البداية والنهاية للحافظ إسماعيل بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 5، 1409هـ-1988م، ج 05، ص: 99.

[3]- عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري: السيرة النبوية، مؤسسة علوم القرآن، ج 4، ص: 601.

[4]- أخرجه مسلم في كتاب الحج من حديث جابر الطويل في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 2941.

[5]- السيرة النبوية، لابن هشام، 201/04، البداية والنهاية لابن كثير، ج 05، ص: 101.

[6]- المرجع نفسه، ص: 99.

صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له فنزل بها، حتى زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس"[1].

وأما المكان، فقال ابن القيم رحمه الله – : "وموضع خطبته لم يكن من الموفق، فإنه خطب بعرفة، وليس من الموقف وهو صلى الله عليه وسلم نزل بنمرة وخطب بعرفة، ووقف بعرفة وخطب خطبة واحدة ولم تكن خطبتين، جلس بينهما[2].

وأما الذي كان يبلغ هذه الخطبة، ويصرخ بها في عرفة، فهو ربيعة بن أمية بن خلف، وقد أتمت واشتملت وألمت خطبته صلى الله عليه وسلم، على عدة مواضع وهي:

- تقدير قواعد الإسلام، وهدم قواعد الشرك والجاهلية.
- تحريم المحرمات التي اتفقت الملل على تحريمها، وهي الدماء، والأموال، الأعراض، ووضع أمور الجاهلية المحرمة والممنوعة في الإسلام كلها أسفل الدركات.
- وضع فيها ربا الجاهلية كله وأبطله.
- أوصى بالنساء خيرا، ذكر ما هو لهن وما هو عليهن.
- الواجب لهن الرزق والكسوة بالمعروف.
- إباحته للأزواج ضربهن إذا أدخلن إلى بيوتهن من يكرهه أزواجهن.
- أوصى بالاعتصام بكتاب الله، ومسؤوليتهم نحوه.
- استنطاقه لهم بماذا يقولون، ويشهدون، فقالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت ونصحت، فرفع إصبعه إلى السماء، واستشهد الله عليهم ثلاث مرات وأمرهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم[3].

[1]– أخرجه مسلم في كتاب الحج، وهذا الحديث قطعه من حيث جابر رضي الله عنه الطويل في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 2941.

[2]– محمد بن أبي بكر الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1423هـ-2000م، (216/2).

[3]– بتصرف: زاد المعاد ابن القيم، (215/2).

ولعل ما اشتملت عليه هذه الخطبة العظيمة من أمور فإنه نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف بعرفة قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[1] المائدة 03.

رسولنا صلى الله عليه وسلم أخطب العرب قاطبة، وذلك معناه أنه أقدرهم على الإقناع وأملكهم للحجة، ومن حيث المستوى الأسلوبي، تميزت خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم بالقصر على وجه العموم، وبأنها واضحة في ألفاظها، جزلة لها بها رونق، تعمر بها القلوب والصدور، وترتاح إليها الأسماع والأفئدة[2].

تحليل نص خطبة حجة الوداع:

التحليل اللغوي لخطبة حجة الوداع:

الأدوات اللغوية من بين أهم الأدوات التي يتم بها تحليل النصوص على اختلاف مواضعها، بحيث تكمن أهميتها في إبراز وتوضح أهم الميزات والخصائص داخل النسق وأبرزها داخل نص الخطبة.

أ- **التوكيد:** "وفيه إشارة إلى أن المؤكد أمر هام، يستدعي من المتلقي تأملا وإجالة الفكر"[3].

وأهم ما نلمسه في طيات الخطبة من توكيد، نجد: "فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا"، فجملة المقطع تتسم بالإنسانية وهدوء النبرة، مما يستقف مع مجازية الأمر السابق، على هذا المقطع، ولما في الأمر الحقيقي، لو كان المراد من القوة والشدة، فأني لا أدري ... إن من أدوات التوكيد، وهي ترد في غضون الخطبة بكثرة ملحوظة وحق الكلام منذ استهلاله بوحي بأن الرسول صلى الله عليه وسلم، قد وقف وقفة الوداع، فأراد أن يقرر حقيقة رحلة الإنسان من الحياة الدنيا، بتقريره أنه كان رسولا يوحى إليه فهو لا يدري متى سيكون رحيله[4].

---

[1]- سورة المائدة، الآية 03.

[2]- جمعان عبد الكريم الغامدي: الحجاج في الخطبة النبوية، العدد العاشر 2013، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الباحة، ص: 283.

[3]- عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط 1، 2012م، ص: 148.

[4]- جليل راشد فالح: خطبة الوداع، دراسة بلاغية تحليلية، ص: 05.

ومن بين أهم العبارات كذلك التي تم فيها التوكيد نذكر:

- إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا.
- إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام.
- إن لسانكم عليكم حقا.
- وإن ربكم واحد، وإن أباكم واحد.
- وإنكم ستلقون ربكم.
- وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله.
- وإن كل دم من الجاهلية موضوع.
- وإن أول دمائكم أضع[1].

فيتمظهر لنا التوكيد الذي استعمله النبي صلى الله عليه وسلم، لإزالة الشك والتردد وإثبات العقيدة في يقين المتلقي.

وسواء أكانت أداة واحدة مستعملة في السياق المعالج، أم أكثر من أداة فتبين لنا أن التوكيد يفيد توثيق الخبر وضمان حسن تلقي المرسل إليه، الرسالة، والأثر الناتج في نفس المتلقي وردة الفعل الناتجة عنه، وموقفه منها سواء أكان في ذلك الأمر شك أم لا.

و"أيضا من بين أدوات التوكيد المستعملة حرف التحقيق "قد" منفردا ومقترنا بـ "إن" الذي يفيد هو الثاني التوكيد والزيادة فيه ومضاعفته، مثاله في قوله صلى الله عليه وسلم "إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يعبد فيها سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم"، والمثال الثاني في قوله صلى الله عليه وسلم: "إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تظلوا بعده كتاب الله"، وقوله أيضا: "إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ..."، وفي قوله: "إن الزمان قد استدار أكثر من مؤكد ويتمثل في:

[1]- جليل راشد فالح: خطبة الوداع، دراسة بلاغية تحليلية، ص: 05.

الحرف المشبه بالفعل: "إن" والجملة جاءت اسمية، وحرف التحقيق في الداخل على الجملة الفعلية "استدار" الواقعة خبر "إن" وتكرار الإسناد في استدار لأن فاعله ضمير يعود على الزمان.

ومن أبرز صيغ التوكيد هي الأخرى في قوله صلى الله عليه وسلم نون التوكيد بالفعل المصارع، ونجد هذا في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا ترجعن بعدي كفارا"، وقوله "لا تظلمن أنفسكم"، أيضا ورد التوكيد بأسلوب القصر في قوله صلى الله عليه وسلم "لا إله إلا الله"، و"لا يدخلن أحدكم تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم"، و"لا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه"[1].

فنستنتج أن التوكيد وسيلة من بين أهم الوسائل التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم، قصد التأثير في المتلقي وإقناعه، بما هو في صالحه، وما يخدم العقيدة، ما يتماشى مع الشرع في دين الإسلام، لينتج في دنياه ويفوز في آخرته.

ب-**التكرار**: يعتبر التكرار وسيلة لغوية هامة اعتمدها النبي صلى الله عليه وسلم لإثبات الدعوى والغاية من ذلك الكشف عن الغاية من الدعوى والإفصاح عنها، وتقرير المعنى المراد وإثباته في ذهن المتلقي.

ومن أمثلته في قوله صلى الله عليه وسلم:

1- تكرار لفظ الجلالة "الله" في قوله صلى الله عليه وسلم: "أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء".

2- تكرار أداة الإشارة "هذا" في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا".

فنستنتج أن الرسول صلى الله عليه وسلم الفائدة من تكراره لأداة الإشارة "هذا" التأكيد على حرمة الدم والمال والشرعية.

[1]- خديجة دكمة: آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع، مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر، تخصص: لسانيات نصية، ورقلة، 2016م، ص: ص: 41-42.

وقد كررها في موضع آخر مرتين المتمثل في قوله صلى الله عليه وسلم: "لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا"[1].

فنلمس من قوله صلى الله عليه وسلم الإشارة إلى الأخذ.

بقوله على محمل الجد، وهي حجة قوية يترك بها المستمع المتلقي يفهم ويدرك ما يسمعه.

3- "تكرار كاف التشبيه وقد برزت في قوله صلى الله عليه وسلم في موضعين: الأول في قوله: "كحرمة يومكم هذا، والثاني في قوله: "كهيئة يوم خلق السماوات والأرض".

4- فتبين أن الكاف قد استعملها النبي صلى الله عليه وسلم ليثبت حرمة الدماء، والأموال، فأفادت الربط والغاية من ذلك إقامة الحجة والبرهان على قطعية الحرمة، وأما في قوله الثاني فأراد أن يثبت في ذهن المخاطبين الدورة الطبيعية للأشهر التي خلقها تعالى منذ الأزل ولا تتغير أبدا"[2].

جـ- الأفعال الإنجازية:

1- فعل الأمر: هو أسلوب إنشائي طلبي، وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وقد استعمله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، طلبا لأمر شرعي.

والأمر طريقان أو وجهتان في التعبير البلاغي، حقيقي ومجازي.

فالأمر الحقيقي: صيغته موضوعة لطلب الفعل استعلاما، لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة، أما المجازي فقد يستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام[3].

ومن أمثلته في قوله صلى الله عليه وسلم:

- اسمعوا مني أبين لكم.
- فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.
- عليكم رزقهن وكسوتهن.

[1]- ينظر: إشراف محي الدين: الإيضاح في علوم البلاغة، لجنة الأزهر، القاهرة، ص: 134.

[2]- خديجة دكمة: آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع، ص: 39.

[3]- المرجع نفسه، ص: ص: 39-40.

- اتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا.

وهاهنا وعن طريق أفعال الأمر تبين لنا العلاقة الرابطة بين المرسل والمتلقي، أي بين رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، والمخاطبين، أي تَمَظْهر سلطته صلى الله عليه وسلم، وكيفية تأثيره واقتناعه في المتلقين.

2- أسلوب النهي: "أسلوب إنشائي بموجبه يطلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء"[1].

ومن أمثلته في قوله صلى الله عليه وسلم:

- "ولا يدخلن أحد تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم.
- ولا يأتين بفاحشة مبينة.
- لا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه.
- فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.
- لا تظلمن أنفسكم.
- ولا تجوز وصية في أكثر من ثلث"

وهنا تظهر لنا أيضا سلطة الناهي علاقته بالمخاطبين وطبيعة السلوكات التي ينهي عنها والناهي رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وعلاقته بالمخاطبين تفوق أقصى درجات الطاعة والامتثال لأوامره.

3- أسلوب الاستفهام: من أبرز الأساليب في الأفعال الكلامية الاستفهام، ومن أنجع الطرق التي يحاجج بها المرسل لتلقي رسالته على أكمل وجه وبيان، ويعرفه الشهري بقوله: "أن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن

[1]- عبد الجليل الشعراوي: الحجاج بين الخطابة النبوية، ص: 152.

أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم[1].

وهذا هو المتمثل في قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا هل بلغت؟".

وهو استفهام لا يراد به الجواب، وإنما تلقي المعلومة والتأكيد عليها.

4- فعل النداء: يعتبر النداء توجيها، يحفز المرسل عليه كردة فعل اتجاه المرسل، وقد استهل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، خطبته بعد الحمد والثناء بالنداء "أيها الناس" وأول ما نلحظه في هذا النداء أن الرسول صلى الله عليه وسلم استغنى عن أداة النداء "يا" والغرض منه هنا تحقيق القرب والتلاحم بين أبناء الأمة، فكأن الناس قريبون إليه يناديهم بأرقى النداء وأعذبه، ليستميل قلوبهم إلى ما يلقى عليهم من حسن التوجيه وسديد الإرشاد، وهذا على قرب المعاني للمنادي.

ويقول ابن حاجب في "يا" النداء: أنها حقيقية في القريب والبعيد لأنها لطلب الإقبال مطلقا، وقال الزمخشري إنها للبعيد"[2].

فنلمس هنا أيضا أن النداء من بين أبرز الأساليب في الأفعال الكلامية التي يقنع بها المرسل، ويؤثر في المتلقي، يتقبلها العقل دون كلل أو ملل.

5- الأفعال الشرطية: والقصد منها ليس الجمل الشرطية المعهودة فحسب، وإنما كل ما يشم منه رائحة الشرط، وإن لم يجر على قواعده[3]، وفي الخطبة يوجد الكثير من التراكيب الشرطية نستلهم منها ما يلي: قوله صلى الله عليه وسلم: "من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

"فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن"

"من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله ...".

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة، إفريقي، ط 1، مارس 2004م، ص: 484.

[2]- جليل رشيد فالح: خطبة حجة الوداع، دراسة تحليلية بلاغية، مجلة آداب الرافدين، العدد 13، 2007، ص: 17.

[3]- طويائي طاهر: مرضية أباد: بلاغة الحجاج في خطبة الغدير، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 02، 1436هـ، ص: 272.

وهذه التراكيب اللغوية استعملت في معنى الشرط، وقد عرضت بمثابة حجج تحاول إقناع المخاطب بأهمية ما ورد في الخطبة، وهذا ما أمكن أن نتناوله في الآليات اللغوية التي احتوتها خطبة حجة الوداع.

الآليات البلاغية:

تعد خطبة حجة الوداع الخطبة التأثيرية والإقناعية التي تناولت موضوعات مختلفة تنصب كلها في التشريع الإسلامي، والقصد من إلقائها تنظيم العلاقات بين الأفراد في سبيل بناء مجتمع إسلامي راسخ القواعد وثابت الأركان، فلهذا استعمل نبينا الكريم الآليات اللغوية ووظفها توظيفا يترك الأثر البليغ في المتلقي وليس هذا فقط وإنما تعد هذه الآليات إلى ما يسمى بالآليات البلاغية من حيث الصور البيانية لتقريب الفكرة والتأثير في السامع وفكره، ومن أبرز الصور البيانية التي توفرت عليها الخطبة نذكر:

أولا: التشبيه: "صفة الشيء بما يقاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من كجميع جهاته"[1].

وقد برز في قوله صلى الله عليه وسلم، إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم، إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"، والغرض المراد من وراء هذا التشبيه، هو التأكيد بكل ما فيه على حرمة الدم والمال.

وأيضا في قوله: "إنما النساء عوان"، هنا يظهر لنا التشبيه البليغ المتمثل في كونه تشبيه للمرأة أو الزوجة، في بيت زوجها بالأسيرة، لأنها أُمرت بطاعته في المعروف، وأخذ إذنه فيما يجب أن يستأذن فيه، فالمشبه هو "النساء" والمشبه به "عوان" والأداة مقدرة ووجه الشبه محذوف[2]، فوظف التشبيه لتقريب الفكرة والتأثير في السامع.

[1]- ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده، شرح وضبط: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط1، 2003، ص: 286.

[2]- ينظر: عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 155.

ثانيا: الاستعارة: تعرف الاستعارة بكونها مجازا قائما على التشبيه، استعملت فيه الألفاظ في غير ما وضعت له في أصل اللغة[1]، لعلاقة بينهما وهي تعتمد على التفاعل التام بين طرفيها، ونجد في الخطبة قد وظف الاستعارة في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية...، فحياة العرب في الجاهلية كانت تقوم على سفك الدماء، فهم لا يفرغون من دم إلى دم آخر، ولذلك كان أكبر قانون عندهم هو قانون الأخذ بالثأر[2]، فقد جمع النبي صبى الله عليه وسلم بين المآثر التي هي معنوية، وما يفتخر به العربي وخاصة الأخذ بالثأر وجعل هذه الأشياء المعنوية كأنها ماديات يضعها تحت قدميه، وتكمن روعة الصورة في كونها تقوم على المقابلة بين المآثر العظيمة، وبين الاحتقار الشديد، فتقديم المعنى بهذه الصورة يجعل المتلقي يتمثله ويتبين حجمه وسعة أهميته ومن ثم الامتثال والتعاظ[3].

فنستنتج أن أهمية الاستعارة وفاعليتها تكمن في التناسب فيما يقتضيه السياق، فهي أبلغ وأقوى الآليات البلاغية إقناعا وتأثيرا.

ثالثا: التفريع: أو تقسيم الكل إلى أجزائه، وهو أن يذكر المرسل حجته كليا في أول الأمر ثم يعود إلى تفنيدها، وتعداد أجزائها إذا كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه[4]، ومن أمثلته في قوله صلى الله عليه وسلم: "وإن عدة الشهور عند الله تعالى اثنا عشر شهر، في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات وواحد فرد، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم ورجب، الذي بين جمادى وشعبان، أي إن عدة الأشهر عند الله هي اثنا عشر شهرا لمن يزيد أو ينقص، ففي اللوح المحفوظ هي اثنا عشر ثابتة لا تتغير بزياجة أو نقصان، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم عدد الشهور في كتاب الله واستشهد على قوله من القرآن

[1]- ابن رشيق: العمدة، ص: 271.

[2]- هاشم صالح المناع: خطبة النبي –صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع، دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، بيروت، ط 1، 1989م، ص: 39.

[3]- عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 156.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: 494.

الكريم، وجاء ترتيب حجته كليا أول ألمر (عدة الشهور اثنا عشر شهرا)، ثم أجزائها (ثلاث متواليات وواحد فرد)، وذلك حفاظا على قوتها الحجاجية.

رابعا: البديع: لا يقف دور الأشكال اللغوية على زخرفة الخطاب فقط، وإنما يهدف إلى الإقناع والبلوغ، بالأثر مبلغه الأبعد، فـ "أساليب البيان مثل: لمقابلة والجناس والطباق وغيرها ليست اصطناعا للتحسين والبديع، إنما هي أصلا أساليب الإبلاغ والتبليغ"[1]، ومن أمثلتها في خطبته صلى الله عليه وسلم:

أ- **السجع**: والذي قام بتعريفه ابن الأثير في كتابه "المثل السائر" بقوله: "هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على الحرف الواحد"[2]، وقد ألقى صلى الله عليه وسلم أن يلتزمه في خطبه لأن السجع في الجاهلية كان يستخدمه الكهان، وما جاء منه في هذه الخطبة، إنما ورد عفو الخاطر دون تكلف أو قصد لذاته[3]، ومن أمثلته قوله: صلى الله عليه وسلم: "ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم".

ها هو ذا كلامه صلى الله عليه وسلم يقع موقع الحسن في الوجدان يجعل المتلقي يتلذ كلامه وبلاغته وفصاحته التي لا تضاهي بحسبان.

ب-**الطباق**: وهو من بين الوسائل التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته، وكانت الغاية منه التركيز على ما هو مقصود من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، والأخذ به ويعرف هو الآخر بـ "أن يتألف في معناه ما يضاد في فحواه، المطابقة عند جميع الناس، جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر[4].

---

[1]- طه عبد الرحمان: مراتب الحجاج وقياس التمثيل، مجلة كلية الآداب الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ص: 80.

[2]- ابن الأثير: المثل السائر، ج 1، ص: 211، نقلا عن: عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 157.

[3]- عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 157.

[4]- ابن رشيق: العمدة، ص: 05.

ومن أمثلته في قول النبي صلى الله عليه وسلم "إن إن النسيئي يحلونه عاما ويحرمونه عاما"، يتمظهر الطباق في فعلي الحلال والحرام (يحلونه، يحرمونه)، وأيضا يوجد طباق في قوله صلى الله عليه وسلم: "فليبلغ الشاهد الغائب"، فالشاهد ضد الغائب، فبرز الدور الحقيقي للطباق ليس فقط كونه محسنا بديعيا بل تعداه أنه أداة من أدوات الإقناع والتأثير والتي تكمن فعاليتها في استدعاء المزيد من تركيز المتلقي حتى المعنى المراد ويتبين المقصود منه[1].

جـ- المقابلة: أكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإن جاوز الطباق ضدين كان مقابلة، ومن وظائفها أنها تمد المتلقي باحتمالات ليتمكن من تبينها جميعا، ويميز بينها، ثم يختار ما يتوافق مع قناعاته، مثال ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "من يهده الله فلا مظل له ومن يظلل فلا هادي له"، وقوله أيضا: "إن لنسائكم عليكم حقا، ولكن عليهن حق"، فنستنتج أيضا أن المقابلة من الأدوات التي استعملها نبينا صلى الله عليه وسلم، ليؤكد على ما يحث المسلمين على البقاء عليه وفعله والتمسك به[2].

3- الآليات الشبه المنطقية:

وهي من التقنيات الحجاجية التي قدمها عبد الهادي بن ظافر الشهري في كتابه "إستراتيجيات الخطاب" ضمن الآليات التي يجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، يندرج ضمنه الكثير منها، مثل: الروابط الحجاجية (لكن، حتى، فضلا عن ليس، كذا، فحسب، أدوات التوكيد)، وكذا درجات التوكيد، الإحصاءات وبعض الآليات منها الصبغ الصرفية، مثل: التعدية بأفعال التفضيل والقياس وصيغ المبالغة[3].

ويمكن تعريف السلم الحجاجي بأنه "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال المزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

---

[1]- خديجة دكمة: آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع، ص: 49.

[2]- المرجع نفسه، ص: 49.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص: 477.

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم، يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب-كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه[1]، وميزته أن كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه أقوى منه، ومثال ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "وإن ربا الجاهلية موضع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به وهو دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فقد ارتأى صلى الله عليه وسلم، بدأ التحريم بالأولى، وهو ربا ودماء آل البيت حتى يكون ذلك أدعى للإقناع والتسليم[2].

التمثيل بالسلم الحجاجي:

"الحجة الأولى: إن ربا الجاهلية موضوع".

"الحجة الثانية: وإن أول ربا أبدأ به هو ربا عمي العباس بن عبد المطلب"

النتيجة: إسقاط حق المطالبة بالربا والأخذ بالثأر ابتداء بالأقراب، لأن القرابة أمكن في النفوس، ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قوله هذا عدة حجج لنتيجة واحدة، مضمرة تفهم من سياق الكلام، مفادها إسقاط حق المطالبة بالربا والأخذ بالثأر بداء بالأقارب".

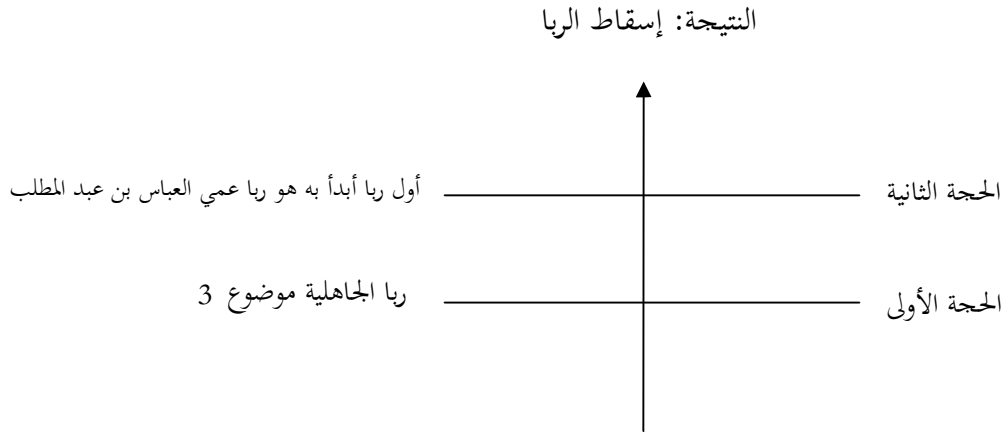

[1]- عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 143.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص: 476.

[3]- المرجع نفسه، ص: 478.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم (... إن دماء الجاهلية موضوعة/، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث / بن عبد المطلب، إن مآثر الجاهلية موضوع غير السدانة والسقابة) فتتمثل حججه في:

الحجة الأولى: ←—— إن دماء الجاهلية موضوعة.

الحجة الثانية: ←—— وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث.

الحجة الثالثة: ←—— كل مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقابة.

النتيجة: إسقاط الأخذ بالثأر[1].

وضح نبينا صلى الله عليه وسلم إسقاط حق المطالبة بالثأر بدءا بأقاربه لتكون حجة قوية، وعمم كل مآثر الجاهلية واستثنى منها السقابة والسدانة، وتتمثل الحجج داخل السلم كما يلي[2]:

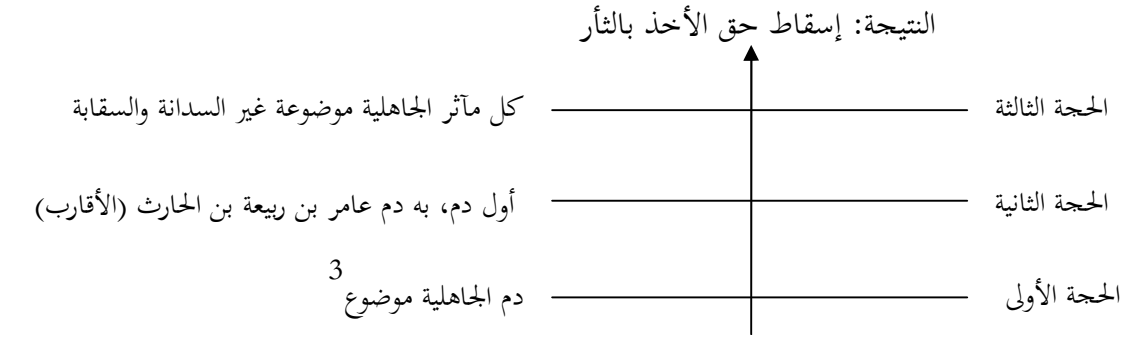

[3]

وأهم ملاحظة نجدها أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ من اضعف حجة إلى أقواها ليتم إقناع المتلقي عن ظهر يقين، وأن يأخذ ما هو سليم منطقي.

المثال الثالث:

الحجة الأولى: إن ربكم واحد.

الحجة الثانية: وإن أباكم واحد.

الحجة الثالثة: كلكم لأدم وآدم من تراب.

---

[1]- خديجة دكمة: آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع، ص: 57.

[2]- المرجع نفسه، ص: 52.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، ص: 478.

النتيجة: المفاضلة بالتقوى.

وتمثيلها يكون كالتالي:[1]

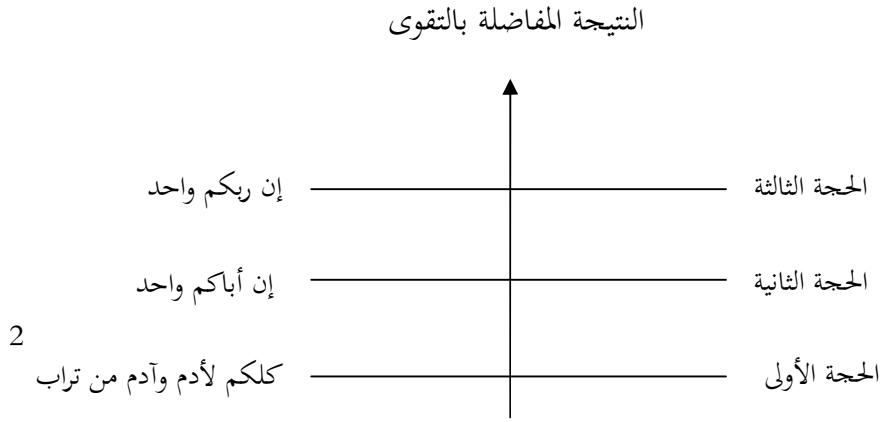

2

فنجد أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدأ محاجته ببيان اختلاف الأجناس، والأعراف، ثم انتقل إلى الأصل الخلقي الواحد، أي أن البشر دون استثناء من تراب، وأن أبانا آدم من تراب، ثم ليزيد من قوة حجته، ذكر الخالق الواحد وهو الله تعالى، وأيضا نجد الحجاج متمثلا في قوله صلى الله عليه وسلم:

الحجة الأولى: "إن لنسائكم عليكم حقا".

الحجة الثانية: "ولكم عليهم حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم".

الحجة الثالثة: "لا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم".

النتيجة: فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح". أي النتيجة: عدم طاعة المرأة لزوجها العقاب والتوبيخ والضرب".

والتمثيل في السلم الحجاجي يكون كالتالي[3]:

[1]- خديجة دكمة: آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع، ص: 54.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص: 472.

[3]- خديجة دكمة، آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع، ص: 53.

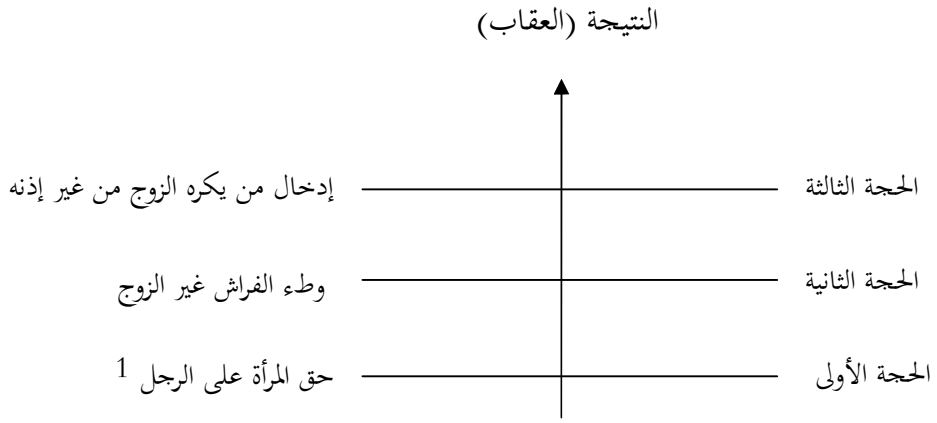

نستخلص مما سبق ذكره أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم استعمل الحجاج والبرهنة ليقنع المتلقين ويؤثر في عملهم السلوكي، من خلال طريقة واحدة وهي: إتباع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والعمل به.

"وهكذا رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده، وترك الأمة على الحجة البيضاء ليلها كنهارها، وكان خاتمة أعماله ومسك ختامه، حجته إلى بيت الله، ودع فيها الأمة صلى الله عليه وسلم وشرح للناس ما أجمل من شريعة الإسلام، وحثهم على قواعد الإسلام مفصلا لهم الحلال من الحرام، وقال لهم: "خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وأمر بتبليغ الغائب من هو شاهد للاستضاءة بنوره وحمل لواء دعواه المتوارثة الحية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها"[2].

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص: 494.

[2]- ينظر: عطية محمد سالم: مع الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، دار التراث، ط 1، 1988م، ص: 05.

خاتمة

وبحمد الباري، ونعمة منه وفضل ورحمة نضع القطرات الأخيرة بعد متعة الفصل في تفكر وتعقل في موضوع هذا البحث، فقد كانت رحلة جاهدة للارتقاء بدرجة العقل ومعراج الأفكار فما هذا إلا جهد مقل ولا ندعي فيه الكمال ولكن العذر فيه أنه بذل فيه قصارى الجهد، فإن أصبنا فذاك مرادنا، وإن أخطأنا فلنا الشرف في المحاولة والتعلم وعليه نستخلص النتائج الآتية:

بداية يمكن القول أن أهداف البلاغة تتركز في مجملها في الوصول إلى القواعد والنماذج التي يستطيع بها المتكلم أو الخطيب أن يؤثر في جمهوره ويحركه بحججه المقنعة.

1- يراد بالحجاج تقديم الحجج التي تؤدي إلى الإقناع، لأن الحجاج أساسه الحجج التي من خلالها يستطيع المتكلم إقناع مخاطبه، ويبدو هذا التعريف جامعا شاملا لكل ما أورده القدماء والمحدثون.

2- تؤدي اللغة وظيفة حجاجية، ولذلك يعد الحجاج سمة بارزة في اللغة وعلى هذا الأساس وجدنا الفلاسفة واللسانيين والبلاغيين على شتى مشاربهم يركزون بحثهم عليها بوصفها أداة للحجاج وهو ما لمعناه عند أرسطو والجاحظ، وبيرلمان، وديكرو.

3- ارتبط الحجاج منذ القديم بالخطابة أو ببلاغة الإقناع خاصة عند اليونان، يعدها وسيلة حجاجية توظف للدفاع عن الحقوق المسلوبة ولهذا اشتهر السفطائيون وغيرهم ببراعتهم الحجاجية، حتى عدوا معلمي الحجاج أو البلاغة، إذا كان الخطيب فيهم يقوم في المجالس القضائية يدافع عن حقوقه متسلحا بفصاحته وبلاغته التي تمكنه من الوصول إلى أهدافه، ولهذا حظيت الخطابة باهتمام كبير عند اليونان.

4- يعد أرسطو أهم محطة في الدرس اللساني الغربي الحجاجي فهو أبو البلاغة الغربية، وقد استفاد منه كثير من المعاصرين.

5- تؤدي الصورة البيانية بمختلف أنواعها وظيفة حجاجية مثل (التشبيه، الاستعارة والكتابة، فكل صورة لها بعد تأثيري يبرز داخل الخطاب.

6- الحجج الجاهزة تبرز في كونها من الحجج القوية التي تؤدي إلى إذغان المتلقي واستمالته.

7- يهدف الخطاب الإقناعي إلى دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم أو تعزيز هذا التأكيد على تنوع ثقافته.

8- ارتكز محمد العمري في قراءته للتراث المغربي والعالم العربي بصفة عامة على مسارين هما: المسار التراثي، وباب الترجمة، وكذا جل النظريات الغربية التي كانت له مرجعا في حياته للدرس البلاغي المعاصر، إلى جانب أعماله ونشطاته وترجماته العديدة والتي فتحت أفقا جديدة للدراسات البلاغية والنقدية وإخراجه من المقاربات الشكلية من خلال الابتعاد عن النزعات والخلافات التي كانت بين المذاهب.

9- جاءت قراءة محمد العمري قراءة تركيبية تعتمد على النظرة الشمولية والمعالجة البنيوية التي سمحت بدورها بتحليل بنيات المؤلفات البلاغية، كالبحث عند البعد الإقناعي للبلاغة العربية والبلاغة العامة التي تهدف إلى دمج الشعرية والخطابية.

10- أعمال الأستاذ محمد العمري قد أسهمت في تطوير آليات النظر البلاغي والمقاربة المنهجية للموروث البلاغي العربي القديم، إلى جانب إغناء المكتبة العربية في المجالين اللساني الفلسفي والمنطقي وغيرهما من علوم اللسان.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

الحديث النبوي

الكتب باللغة العربية:

1. إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، دار الدعوى، إسطنبول، ط 2، ج 1، مادة (خ.ط.ب).
2. ابن الأثير: المثل السائر، ج 1.
3. ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده، شرح وضبط: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط1، 2003، ج 2.
4. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1996.
5. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار سويدان، بيروت، 148/3، البداية والنهاية للحافظ إسماعيل بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 5، 1409هـ-1988م، ج 05.
6. إحسان النص، الخطابة العربية في عصرها الذهبي، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط 2، 1963م.
7. أحمد حسن الزيات، الأدب العربي وتاريخه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 8، 2004م.
8. أحمد محمد الحرفي، أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1965.
9. أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، نهضة مصر للطباع والنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 1972.
10. أرسطو طاليس: الخطابة، تحقيق عبد الرحمان بدوي، وكالة مطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت، 1979.
11. إميل ناصيف، أروع ما قيل من خطب، دار الجيل بيروت، ط 141، 1هـ، سنة 1989م.
12. بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار الفجر للطباعة والنشر، الجزائر، ط 1، 2006.
13. بشير شريف الرغوتي، فن الخطابة العربية، الأردن، عمان، 2007.
14. بليث هنريش: البلاغة والأسلوبية، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، ط 1، 1999.

15. بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر.

16. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج 1.

17. الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 7، 1998.

18. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1999.

19. حازم القرطجاني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيرروت، ط 2، 1986.

20. حمادي صمود وغيره: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، كلية الآداب، منوبة، 1998، المقدمة.

21. الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، (د.ت)، ج 5-6.

22. سالم المعوش، القواعد المعرفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام، دار النهضة العربية، 1422هـ-2001م، ط 1.

23. السجلماسي، منتزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، الرباط، المغرب، ط 1، 1980.

24. السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الجيل، ط 1، ج 1، سنة 2003م.

25. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، سنة 2007م.

26. السيرة النبوية، لابن هشام، 201/04، ج 05.

27. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 6، د.ت.

28. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1992م.

29. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1998.

30. عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط 1، 2012م.

31. عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1401هـ-1981م،.

32. عبد الرزاق الداوي، التخيل والتمثيل في الخطاب الفلسفي – ضمن كتاب: تكون المعارف – منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب.

33. عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2013.

34. عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري: السيرة النبوية، مؤسسة علوم القرآن، ج 4.

35. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 2، 2015.

36. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2004.

37. عثمان مراقب، في نظرية ألدب وقضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، 2002، ج 1.

38. عدنان بن فريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، د.ط، 2000.

39. عطية محمد سالم: مع الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، دار التراث، ط 1، 1988م.

40. عمر عروة، النثر الفني القديم (أبرز فنونه وأعلامه)، دار القصبة للنشر.

41. عمرو كان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، لبنان، 2001.

42. فخر الدين الرازي: نهاية الإيجار في دراية الإعجاز، تحقيق: نصر الله أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2014.

43. المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 1.

44. مجموعة من المؤلفين: الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ اسماعيلي علوي، ابن النديم للنشر، الجزائر، ط 1، ج1، 2013،.

45. محمد السالم ولد محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2008.

46. محمد العمري: دائرة الحوار ومزالق العنف، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 2002.

47. محمد العمري: نظرية الأدب في ق 20، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2005.

48. محمد العمري:في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 1، 1986.

49. محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2013.

50. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012.

51. محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية، الدار العالمية، الدار البيضاء، المغرب، 1990م.

52. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا –إفريقيا الشرق بيروت، لبنان، 2002م.

53. محمد العمري، كتاب البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1998.

54. محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، دار الأمان الرباط، ط 1، 2014.

55. محمد بن أبي بكر الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1423هـ-2000م.

56. محمد عبد الغني حسن، الخطب والمواعظ، دار المعارف، مصر، ط 2، 1968.

57. محمد عبد القادر شاهين، العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه الأندلسي، شريف الأنصاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج 4، 2003م.

58. محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2006.

59. محمد مفتاح، التلقي والتأويل مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2009.

60. محمد نظيف: الحوار وخصائص التواصلي، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2010م، ص ص: 196- 197.

61. مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية 2009-2010.

62. نص الخطبة من: الجاحظ البيان والتبين، تحقيق عبد السلام هارو، مكتبة الحاجي، القاهرة، 1985، ج 2، ط 1.

63. هاشم صالح المناع: خطبة النبي –صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع، دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، بيروت، ط 1، 1989م.

64. هنريش بليث، البلاغة الأسلوبية، تر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها.

الكتب باللغة الأجنبية:

1. Encgilapéque des scinos du déctionnaire oangage.
2. Olivier reboul la rhétorique, presses universitaire de France, 1er ed,1984 .

المذكرات:

1.خديجة دكمة: آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع، مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر، تخصص: لسانيات نصية، ورقلة، 2016م. (مخطوط)

المجلات:

1. جليل رشيد فالح: خطبة حجة الوداع، دراسة تحليلية بلاغية، مجلة آداب الرافدين، العدد 13، 2007.

2. جمعان عبد الكريم الغامدي: الحجاج في الخطبة النبوية، العدد العاشر 2013، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الباحة.

3. طه عبد الرحمان: مراتب الحجاج وقياس التمثيل، مجلة كلية الآداب الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

4. طويائي طاهر: مرضية أباد: بلاغة الحجاج في خطبة الغدير، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 02، 1436هـ.

5. محمد العمري: المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، مجلة الدراسات، ع 5، خريف شتاء 1991.

6. محمد السالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطويره في البلاغة المعاصرة، (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 28، ع يناير، مارس 2000.

المواقع الالكترونية:

1. http:// www.studies.com.
2. http://www.medelomeri.perso.sfr.fr/emtree.htm.net.
3. www.medlamri.net .

فهرس الموضوعات

بسملة

كلمة شكر

إهداء

مقدمة .....أ

مدخل: محمد العمري (أدبيا وناقدا)

الحياة العلمية والمهنية.....07

المجالس العلمية والجمعيات 08

الجوائز التقديرية 08

المشاركة في اللقاءات العلمية 09

الحوارات 10

المؤلفات 11

تقيم أعمال محمد العمري 12

الفصل الأول: أسس البلاغة الجديدة

تمهيد 14

المبحث الأول: المشروع البلاغي لمحمد العمري 15

أولا: معنى وفكرة المشروع البلاغي 15

ثانيا: الآراء التّي حملها الباحث.....28

الآراء الأرسطية 28

الآراء التراثية العربيّة 30

ثالثا: أبعاد المشروع 33

دراسة الخطاب الشعري 33

دراسة الخطابة "الخطاب الإقناعي" وبلاغته 36

دراسة البلاغة بين الشعرية والخطابية 43
رابعا: مقاصد ومرتكزات المشروع 45
مقاصد المشروع 45
مرتكزات المشروع ومقوماته 47
المبحث الثاني: البحث في بلاغة الخطاب الإقناعي 60
أولا: بلاغة الخطاب الإقناعي 60
الإقناع 60
البعد الإقناعي للبلاغة العربيّة 63
فاعلية الخطاب 66
ثانيا: أسس بلاغة الخطاب الإقناعي 69
الخطابة الدينية التعليمية 70
الخطابة السياسية 75
مقامات الخطابة الاجتماعية وشؤون الحياة 81
ثالثا: صور الحجاج 81
القياس الخطابي 81
المثل 83
الشاهد 85
الأسلوب 89
ترتيب أجزاء القول 91

الفصل الثاني: الخطابة في العصر الإسلامي والعصر الأموي

تمهيد 94
المبحث الأول: آليات الحجاج في الخطبة 95

تعريف الخطبة.....95
لغة 95
اصطلاحا 95
نشأة الخطابة وتطورها.....97
الخطابة في العصر الجاهلي.....97
الخطابة في صدر الإسلام.....98
الخطابة في العصر الأموي 100
قيمة الخطابة الأموية 102
عناصر الخطابة.....102
أولا: الخطيب.....103
ثانيا: الخطبة (الموضوع) 107
ثالثا: المتلقي (المستقبل).....109
عوامل ازدهار الخطابة الأموية 110
المبحث الثاني: دراسة فنية وفكرية لخطبة الحجاج بن يوسف التقفي 113
تحليل خطبة الحجاج بن يوسف.....113
تطبيق على جزء من خطبة الحجاج بن يوسف على أهل الكوفة 114
الأدوات اللغوية 117
السلم الحجاجي 118
المبحث الثالث: الآليات البلاغية والحجاجية لخطبة حجة الوداع 120
نص الخطبة.....120
التعريف بخطبة حجة الوداع.....122
تحليل نص خطبة حجة الوداع 125

التحليل اللغوي لخطبة حجة الوداع 125
الآليات البلاغية 131
أولا: التشبيه 131
ثانيا: الاستعارة 132
ثالثا: التفريع 132
رابعا: البديع 133
الآليات الشبه المنطقية 134
التمثيل بالسلم الحجاجي 135
خاتمة 140
قائمة المصادر المراجع **143**
الفهرس 150

ملخص:

لقد شغل البحث في البلاغة منذ القديم الكثير من البلاغيين وما تنطوي عليه من دلالات ومقاصد ودراسات، وإذا ما تأملنا البلاغة القديمة عند اليونان وجدناها قد نشأت ضمن فضاء سياسي خطابي.

أما أرسطو فقد نظر للبلاغة كونها خطابا حجاجيا يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع، وبهذا يعد "أرسطو" المؤسس الحقيق للبلاغة لما قدمه من آراء في مجال الحجاج والإقناع.

- نجد اسم البلاغي "محمد العمري" هو من يقف في الصادرة وذلك لما أضافه للدرس البلاغي العربي حيث أعاد الاعتبار لخصوصيات التراث البلاغي، وكشف الستار عن جماليات شكلية ومضمونية، احتجبت بين طيات الكتب، وانتقل بالبلاغة إلى وضعها الطبيعي كنظرية في الكتابة، وسلطة إبداعية حجاجية، ونظرية في القراءة والتحليل.

- إن ما قام به الباحث البلاغي "محمد العمري" في ميدان البلاغة والحجاج، وما أسس له من مفاهيم والتصورات ليدفع بكل باحث إلى الغوص في أعماله لاستخراج الكامن التي حوت مؤلفاته، ومن هنا كانت فكرة موضوع البحث تدور حول بلاغة الخطاب الإقناعي، هذا المشروع الذي يعد من صميم الدراسات البلاغية الحجاجية المعاصرة التي استحدثت مفهوما جديدا للبلاغة يقوم على الاقناع وإقامة الحجج والبراهين

الكلمات المفتاحية: الحجاج – الإقناع – الخطابة – الآليات الحجاجية

Abstract:

In the rhetoric of ancient times, many paleogists and their connotations, purposes, and studies have been occupied. If we contemplate the old rhetoric of Greece, we have found it to have emerged within a rhetorical political space. Aristotle considered the eloquence as a liturgical discourse based on the functions of influence and persuasion. Aristotle was therefore the true founder of eloquence for his views on the field of pilgrims and persuasion. - The name of the rhetorical "Mohammed al-Omari" is the one who stands in the issued because of what he added to the Arab rhetorical lesson, where he re-examined the peculiarities of the rhetorical heritage, revealed the aesthetics of formality and materialism, protested between the folds of books and moved to rhetoric as a theory in writing, , And theory of reading and analysis.

- The work of the rhetorical researcher, "Mohammed Al-Omari" in the field of rhetoric and pilgrims, and the foundations of the concepts and perceptions to push each researcher to dive in his work to extract the latent that hovered his writings, hence the idea of the subject of research revolves around the eloquence of the discourse of persuasion, Is one of the core of contemporary rhetorical and rhetorical studies, which has developed a new concept of eloquence based on persuasion and the establishment of arguments and proofs

Keywords: Pilgrimage - Persuasion - Public Speaking - Pilgrimage Mechanisms

Résumé:

la rhétorique de recherche a rempli depuis l'ancien et beaucoup de Albulageyen ce qu'il comporte des indications et des fins des études, et si nous regardons la vieille rhétorique lorsque la Grèce et nous avons trouvé avoir son origine dans l'espace politique de mon discours.

Aristote a cherché l'éloquence de la parole étant Haggagaa basée sur l'influence de l'emploi et de la persuasion, et c'est « Aristote », le fondateur de l'éloquence qui lui revient pour son point de vue dans le domaine des pèlerins et la persuasion.

- on trouve le nom Rhétorique « Mohammed Omari » se tient dans la sortie et il a ajouté la leçon Rhétorique arabe où un nouvel examen des particularités du patrimoine Rhétorique, dévoilant l'esthétique de forme et de fond, éclipsées entre les plis de livres, et se rhétorique à la théorie normale par écrit, et la puissance de l'orbite créatrice Et théorie de la lecture et de l'analyse.

- Les travaux du chercheur rhétorique "Mohammed Al-Omari" dans le domaine de la rhétorique et des pèlerins, ainsi que les fondements des concepts et des perceptions qui poussent chaque chercheur à plonger dans ses travaux pour en extraire le latent qui a plané dans ses écrits L'idée du sujet de la recherche tourne autour de l'éloquence du discours de la persuasion, est l'un des fondements de la rhétorique et des études rhétoriques contemporaines, qui a développé un nouveau concept d'éloquence basé sur la persuasion et l'établissement d'arguments et de preuves

Mots-clés: Pèlerinage - Persuasion - Prise de parole en public - Mécanismes de pèlerinage